هيئت وليمة للمستر بارنل رئيس حزب الايرلانديين حضرها جم غفير منهم احتفالا بعيد سن بتريس وفيهم كثير من اعضاء البرلمان فالقى عليهم خطابا اظهر فيه مسرته من تقدم الحركة الجنسية في ايرلاندا واوصى الايرلانديين ان لا يعتمدوا عَلَى حزب من الاحزاب الانكليزية وانما يكون اعتمادهم عَلَى نشاطهم واجتهادهم ثم قال ان له في المستقبل املا حسناً وختم كلامه بقوله ان اليوم الذي يجتمع فيه الايرلنديون عَلَى اختلاف احزابهم في بسيطة ارضهم هو قريب وسيكونون عما قليل تحت حكم برلمان ايرلندى وفي ذلك الوقت لاقبله ترسل ايرلندا الى انكلترا رسالة سلمية . وعند رفع كؤس الشراب ابى الحاضرون ذكر الملكة وانما رفع بارنل اول كاس وناد ـــى باسم الامة الايرلندية وطلب من الحاضرين ذلك .

هكذا يطلب الانكليز ضم اراض الى املاكهم فتنفصل عنهم اراض اخرى والى الله علم العاقبة .

الفرنساويون في التونكين

مضت مدة اشهر والفرنساويون ينتظرون ماتودي اليه حركات عساكرهم في بلاد تونكين وكادوا يرتابون من حسن العاقبة حتى ورد التلغراف الى ناظر الجهاديه في باريس من القائد العام بان العساكر الفرنساوية دخلت باكنين من طريق يوصل الى لانسون وان الصينيين

نهزموا الى نواحي نكبين حيث اشتدت عليهم المهاجمات الفرنساوية من جهتي الشمال والشرق وخسروا خسائر جسيمة ولم يجر من الفرنساويين سوى سبعين رجلا وحازت العساكر الفرنساوية كميات وافرة من الزخائر وبطارية من مدافع الكورب وجدوها في قلعة باكين ويظن كثير من رجال السياسة الفرنساوية ان فرنسا قد اتمت عملها بالاستيلاء على هذا الموقع المهم ٠

واكد هذا الظن ماورد بالتلغراف من بكنين الى جريدة الستاندر ان ملكة الصين عند مابلغها استيلاء الفرنساويين على باكين عقدت مجلساً حربياً للمذاكرة في الامور الصينية الحاضرة فقرر الاعضاء وبينهم الامير كونغ على انه يلزم الاتفاق مع الحكومة الفرنساوية بطرق وداديه

وفي حسباننا ان مثل هذه الفتوحات لاتسلي احزان الفرنساويين ولاتعزيهم على ماخسروه في مصر وان ذاك السضماد لايقطب هذه الجراح ٠

منشورات

روت جريدة التان عن جريدة سن بترسبورج ان امبراطور روسيا اظهر رغبته في السفر الى برلين في الصيف الاتي مع الامبراطورة ولم يعلم تاريخ توجهه بالتحديد الى الان ويظن ان سفره هذا يكون قبل سفر امبراطور المانيا الى امس حسب عادته ٠

وتعد هذه الزيارات من موكدات المواصلات بين دولتي الروس

والمانيا وهو مما يوسع للروسيا ميدان الجولان في اسيا كما بينا سابقاً ·

* * *

ورد الى الدلي نيوز تلغراف من القاهرة يحقق ان قبيلة تراشي في بربر انضمت الى قبائل كوردفان المعتقدين بمهد احمد · وهذا مما يقنع الناظرين في الحركات السودانية بان هذه المبالغات التى يذيعها الانكليز في انتصارهم لم توثر شيئاً في نفوس القبائل ولم توهن اعتقادهم بذلك المدعي السوداني ويقيم دليلا عَلَى ماقلناه من ان هذه الايران الملتهبة لايطفئها الارجال من عظماء المسلمين ·

* * *

نشرت في عدة مدن من ارلاندا اعلانات ثوروبة وجدها اعوان الشرطة ملصقة عَلَى جدران الشوارع والاماكن العمومية مكتوبا فيها هذه الكلمات : حرب اهلية في شهر مارت سنة ١٨٨٤ (وهو الشهر الحادي) فتناول الشرطيون تمزيقها بغاية السرعة · وكان الارلنديون من قبل وضعوا الديناميت في محطات السكة الحديديه من جملة جهات وهذا الاضطراب الداخلى الشديد ثالثة الاثا في للمسئلة المصرية ودخول مرو في حوزة الروس · وهذه الثلاثة ان لم يكن لها رابع فهي كافية للمبصر في تقدير الارتباك الذى الم بالحكومة الانكليزية في هذه الايام

* * *

انا لله وانا اليه راجعون لاحول ولا قوة الا بالله العلي العظيم

ورد تلغراف من القاهرة الى جريدة الستاندر يفيد ان السجون ضاقت بالمسجونين حتى اضطرت الحكومة (المصرية او انكليزية) الى اطلاق الف ومائتي منهم من ارباب الجنايات الخفيفة وسبب هذه البلية عدم قدرة المجالس عَلَى محاكمة جميع المتهمين . لهذا تذوب المقل بكاء وتفتت الاكباد حزنا .

* * *

ورد من سواكن الى الستاندر

ان المنشور الذي نشره هفت الاميرال الثاني بتعيين جعالة لمن ياتي براس عثمان دجمه وصل الى مشايخ عرب ثمانية فاحرقوه علامة عَلَى رفضه وعدم قبوله .

* * *

برلين في ١٨ من هذا الشهر

ان جريدة البوست وهي جريدة لها علاقات مع السفارات في برلين ، من فكرها ان استعفاء توفيق باشا وهو قريب الوقوع يفتح للدول الاوربية بابا لاعادة المراقبة المشتركة في مصر لان انكلترا لم تنجح كل النجاح في ماموريتها لاقرار الراحة في تلك البلاد .

باريس في ٢٧ مارس

اشتدت خطوب المسائل المصرية واشتبهت مناهجها وعظمت اخطارها والتبست وجوهها عَلَى ذوي الشؤن وارباب المصالح فيها

حتى عَلَى السياسيين من رجال حكومة انكلترا · كل يتصور غاية ويطلب حظاً يناله منها وقد شد رحاله للوصول اليه ولكن ضل اعلام الجادة وتاه في مجاهيل وليل المشكلات مظلم وديجورها مدلهم وتعاكست مذاهب السالكين هذا يشرق والاخر يغرب وكل في وحشة يطلب المعين ويخاف العادى وكلما فرح لنباة رمي بسهمه من الجزع لايدري اصاب خصماو قتل منجدا ·

ان دولة عظيمة كان لها من القوة ماعترف به دول العالم اجمع ولها من الحقوق في مصر مالا ينازعها فيه احد ترى رجالها اليوم يهتزون لدهدهة الرعود الانكليزية وان كان سحابها جهاما ويفزعون من هزيم تلك الاصوات فيحارون ماذا يفعلون وربما ياتون مالا يريدون ·

ادعت دولة واسعة المطامع انها نائبة عنهم في اصلاح الاقطار المصرية وانقاذها من الاختلال فتبواتهابقواهاالعسكرية واخذت بزمام الاحكام فيها تعزل وتولي وتعطي وتمنع وتعاهد وتنقض وتنقص من اطرافها ماارادت وتحل بعساكرها من بقاعها ما شأت واصحاب الملك الشرعي شاخصة ابصارهم مشرئبة رقابهم يبصرون مالايسر لهم خاطرا ولا يشرح لهم صدرا مع خفقان في القلب واضطراب في الفواد والتهاب في الاحشاء فزعا من سوء العاقبة يحسون بما تقتضيه مواقع الاقطار والنسب بين بلد وما يجاوره من البلدان وما يلزم لحمايتها من وسائل الدفاع فيحكمون بانه ان دامت الحال عَلَى مايرون اصبحت الاقطار

السورية والحجازية واليمنية على خطر عظيم في زمن قريب او بعيد وان تاريخ مصر من عهد الفراعنة الى الان ينادي عليهم نداء الناصح بل ينفث فيهم نفثات الحق بل يزعجهم ازعاج الحاكم القاهر بان المحافظة على مصر من اهم واجباتهم ان لم يكن لذاتها فلما يتسلط عليه موقعها من الاقطار

اما ولاة الامر من المصريين واولو الراى فيهم فقد غشيهم من هذه الدهاده ما اذهلهم عن علم حاضرهم والفكر في مستقبلهم طلبوا لهم عونا قويا وركنوا اليه في دفع ماظنوه غائلة وتوهموه نازلة فاستبد بالامر عليهم وسلبهم ماطلبوا المحافظة عليه وهم بين نوم تطيب لهم اوائله بما يلين لجنوبهم من الوعود الانكليزية وبين احلام مدهشة وخيالات مزعجة تمثل لهم ماسيصب عليهم من حميم العذاب وما يوخذون به من عذاب الهوان وان قليلا مما يشهدونه حاضر العنوان على كثير مما يراه بعضهم بعيدا ونراه والعاقلون منهم قريباً .

اما الانكليز فليسوا في حل مما كسبوا ولم يهنا لهم ماطعموا بل دافعتهم الحوادث وطاردتهم الى مشاكل لم تكن في حسبانهم وهم الان بين امور ثلاثة لايتيسر واحدها الابماينفى الاخر وهم يريدونها مجتمعة ولن يقدروا عليه الابقدر ياتيهم بما يخرق العادة ويفوق الامكان انهاء مسئلة محمد احمد والوفا بعهودهم لاوربا وما يضمرونه لانفسهم في مصر ثم هم يتشبثون لكل منها بوسيلة تضارب مايتمسكون به في الاخرى

تارة يظهرون عزمهم على مبارحة مصر جنوحا الى الوفا بالعهد لكن يتبعون مايقولون في ذلك بان اجل الجلا غير محدود وتارة تنادى جرائدهم بان ذمة انكلترا توجب عليها ان تدخل مصر تحت حمايتها وتتولى ادارتها بصفة سيد حاكم لامستشار ناصح ويشير بل يصرح ناظر جهاديتهم بان الضرورة تلجئهم الى مثل هذا العمل ويعبر عنه احيانا باسم الحماية واخرى بما لا اسم له سواها وطورا يلقبون محمد احمد امير كورد فان ويطلبون من الخديو كما روته جريدة ميمور يال ديلوما تيك ان يكتب لهم صكا بانه يفوض الامر لهم في شان المدعي يتفقون معه كما يريدون وانه يسمح لهم باحلال عساكرهم في سواحل البحر الاحمر وانه لايتولى ولاية خرطوم بعد كردون الاشيخ يضمن لهم حسن الاتفاق مع محمد احمد . فلا الوفا بالعهد يروق لهم لمناقضته للغرض ولا الحماية تسهل عليهم لان دول اوربا بالمرصاد وبين هذا ياخذ محمد احمد ما يهيئه له الامكان من القوة ويبث دعوته الى سائر الاقطار ويجيش الجيوش ويزحف الى خرطوم وهو اليوم يحاصرها وعلى شرف افتتاحها ومع حرص الحكومة الانكليزية على كتم الاخبار وتلطيف الاشاعات من جهة خرطوم اضطر ناظر جهاديتها ان يعترف في مجلس النواب بان المخابرات منقطعة بين خرطوم ومصر السفلى ✻ الى سكندرية ✻ وان الحكومة الانكليزية في مخابرتها مع الجنرال كوردن انما تعتمد على الصدفة في وجود من يقطع البراري الى عاصمة نوبيا وكورسكو حتى يوصل الخبر اليه وانه لاعلم

للحكومة بشى من احوال النيل الاعلى من خامس عشر الشهر ولا تدري ماذا احل بكوردن واثبتت جريدة التمس ان الجنرال في خطر عظيم وزاد الهول عليهم ان عثمان دجمه لم يتزعزع عزمه بما اصابه في الهزيمتين بل لم يزل خصما قويا للحكومة الانكليزية ويدل على ذلك ان الجنرال كراهام يتاهب لمنازلته كما ذكرته جريدة التان وفي اهم الجرائد الفرنساوية ان وقوع خرطوم في قبضة محمد احمد يكون له رجة هائلة واثر عظيم في تغيير الاحوال الحاضرة في البلاد المشرقية ٠

نعم اذا حل محمد احمد في خرطوم سهل عليه جمع كلمة القبائل النازلة مابين خرطوم واصوان وتتصل اطراف جيشه ببلاد مصر العليا ولا يعدمون من العرب في جهات الصعيد بل وفي الدلتا من يلتحق بهم وتكون الطامة الكبرى ٠ يغلب على ظننا ان هذه النار ليست مما يطفئه رذاذ السياسة الانكليزية ولا مما تخمده حركات عساكرها البطيئة خصوصا وقد وقع الخلاف بين حكومة بريطانيا وبين قواد جيشها في سواحل البحر الاحمر فمن راي الحكومة ان تداوم الحرب وتسرع في انهائها ومن راى الاميرال هفيت توقيف الحرب الى شهر اوكتوبر ✻ بعد ستة اشهر ✻ لئلا تهلك العساكر من الحروان في ستة اشهر لسعة لما لايحبس الان في خاطر احد ٠ فلو وكل الامر في تسكين الثورة وحسم الفتن الى القوة الانكليزية وبروقها الخلب لم نكد نفكر فيما يكون منها حتى تلتهب النيران في انحا اخر ويصعب على

ارباب الشان فيها بعد ذلك تداركها وليس لكشف هذه الخطوب الا عزائم المسلمين يلقى اليهم زمام العمل فيها خالصا من المداخلات الاجنبية التي توغر الصدور وتثير الاحقاد ·

واحست الجرائد الفرنساوية بما في نية انكلترا ان تفعله من التصرف في الاراضي المصرية ومنهاجريدة الريليك فرانسز وجريدة الديبا وغيرهما فطلبت من الحكومة الفرنساوية ان تحل بعساكرها في جزيرة ديسي المتسلطة عَلَى سواحل البحر الاحمر مما يلي مصوع محتجة عَلَى ذلك بقولها ان صح ما ادعاه ناظر جهادية انكلترا من كون شطوط البحر الاحمر تعد من طريق الهند فلنا ان نقول انها ايضا طريق تونكين وكوشنشين ومدا غسكربل ان الحلول في تلك الجزيرة من اهم الضروريات لمراقبة منع التجارة في العبيد كما تقضي به المعاهدة بيننا وبين انكلترا ·

هذا بعض ماانتجته سياسة غلاد ستون في مصر وربما يسكن روع امته ويخفف انزعاجها من هذه المباراة الجديدة بينها وبين فرنسا عَلَى سواحل البحر الاحمر بتذكار ما اعقبته المباراة بين الامتين في الهند من ازمان ماضية ولكن شتان بين الزمانين فتلك اوقات كانت سياسة انكلترا خافية عَلَى اهالي الهند وكانوا ينخدعون لها اما اليوم فلم يبق فيها خفاء عَلَى احد من سكان الممالك الشرقية ولعل الغيب يوافينا عن قريب بما يكون لفرنسا مع انكلترا في هذه المسائل والى الله المصير ·

﴿ سنة الله في الذين خلوا من قبل ولن تجد لسنة الله تبديلا ﴾

ارايت امة من الامم لم تكن شيئا مذكورا ثم انشق عنها عماء العدم فاذا هي بحمية كل واحد منها كون بديع النظام قوي الاركان شديد البنيان عليها سياج من شدة الباس ويحيطها سور من منعة الهمم تحمد في ساحاتها عاصفات النوازل وتنحل بايدي مدبريها عقد المشاكل نمت فيها افنان العزة بعد ماثبتت اصولها ورسخت جذورها وامتد لها السلطان على البعيد عنها والداني اليها ونفذت منها الشوكة وعلت لها الكلمة وكملت القوة فاستعلت ادابها على الاداب وسادت اخلاقها وعاداتها على ما كان من ذلك لسابقيها ومعاصريها واحست مشاعر سواها من الامم بان لاسعادة الا في انتهاج منهجها وورود شريعتها وصارت وهي قليلة العدد كرة الساحات كانها للعالم روح مدبر وهو لها بدن عامل .

وبعد هذا كله وهى بناها وانتثر منظومها وتفرقت فيها الاهواء وانشقت العصى وتبدد ما كان مجتمعاً وانحل ما كان منعقداً وانفصمت عرى التعاون وانقطعت روابط التعاضد وانصرفت عزائم افرادها عما يحفظ وجودها ودار كل في محيط بشخصه المحدود بنهايات بدنه لايلمح في مناظره بارقة من حقوقها الكلية والجزئية وهو في غيبة عن ان ضروريات حاجاته لاتنال الا على ايدي الملتحمين معه بلحمة الامة وانه احوج الى شد عضدهم من تقوية ساعده والى توفير خيرهم من تنمية رزقه وكانه بهذه الغيبه في سبات يخيله الناظر اليه صحوا وذبول

يظنه المغرور زهوا واخذ القنوط بامال اولئك المدهوشين فابادها وحدثت فيهم قناعة البهم والرضاء بكل حال ولئن تنبه خاطر للحق في خيال احدهم او استفزه داع من قلبه الى مايكسب ملته شرفا او يعيد اليها مجدا عده هوسا وهذيانا اصيب به من ضعف في المزاج او خلل في البنية او حسب انه لواجاب داعي الذمة لعاد عليه بالوبال واورده مواره الهلكة او لصار من اقرب الاسباب لزوال نعمته ونكد معيشته ويحكم انفسه سلاسل من الجبن واغلال من اليأس فتغل يداه عن العمل وتقف قدماه عن السعي ويحس بعد ذلك بغاية العجز عن كل مافيه خيره وصلاحه ويقصر نظره عن درك ماتى اسلافه من قبله وتجمد قريحته عن فهم ماقام به اولئك الاباء الذين تركوه خليفة عَلَى ما كسبوا وقيما عَلَى ماورثوه لاعقابهم ويبلغ هذا المرض من الامة حدا يشرف بها عَلَى الهلاك ويطرحها عَلَى فراش الموت فريسة لكل عاد وطعمة لكل طاعم ·

نعم رايت كثيراً من الامم لم تكن ثم كانت وارتفعت ثم انحطت وقويت ثم ضعفت وعزت ثم ذلت وصحت ثم مرضت ولكن اليس لكل علة دواء · بلى ·

وآسفا ماأصعب الداء وما اعز الدواء وما اقل العارفين بطرق العلاج كيف يمكن جمع الكلمة بعد افتراقها وهي لم تفترق الا لان كلا عكف عَلَى شأنه ··· استغفر الله لو كان له شان يعكف عليه لما

انفصل عن اخيه وهو اشد اعضائه اتصالا به ولكنه صرف لشون غيره وهو يظنها من شون نفسه · نعم ربما التفت كل الى ماهو في فطرة كل حي ·ن ملاحظة حفظ حياته بمادة غذائه وهو لايدري من اى وجه يحصلها ولا باية طريقة يكون في امن عليها · كيف تبعث الهمم بعد موتها وما ماتت الا بعد ماسكنت زمنا غير قصير الى مااليس من معاليها · هل من السهل رد التائه الى الصراط المستقيم وهو يعتقد ان الفوز في سلوك سواه خصوصاً بعد مااستدبر المقصد وفي كل خطوة يظن انه على مقربة من الخطوة · كيف يمكن تنبيه المستغرق في منامه المبتهج باحلامه وفي اذنه وقر وفي ملامسه خدر · هل من صيحة تقرع قلوب الاحاد المتفرقة من امة عظيمة تتباعد انحاؤها وتتنائى اطرافها وتتباين عاداتها وطبائعها · هل من نباة تجمع اهوائها المتفرقة وتوحد ارائها المتخالفة بعدما تراكم جهل وران غين وخيل للعقول ان كل قريب بعيد وكل سهل وعر وايم الله انه لشيء عسير يعيى في علاجه النطاسي ويحار فيه الحكيم البصير ·

هل يمكن تعيين الدواء الا بعد الوقوف على اصل الداء واسبابه الاولى والعوارض التي طرات عليه · ان كان المرض في امة فكيف يمكن الوصول الى علله واسبابه الا بعد معرفة عمرها وما اعتراها فيه من تنقل الاحوال وتنوع الاطوار · ايمكن لطبيب يعالج شخصاً بعينه ان يختار له نوعا من العلاج قبل ان يعرف ماعرض له من قبل في

حياته ليكون عَلَى بينة من حقيقة المرض والا فان كثيراً من الامراض تتولد جراثيمها في طور من اطوار العمر ثم لاتظهر الا في طور اخر لتغلب قوة الطبيعة عَلَى مادة المرض فلا يبدوا ثرها . كلا انه ليصعب عَلَى الطبيب الماهر تشخيص علة لشخص واحد سنو عمره محدودة وعوارض حياته محصورة فكيف بمن يريد مداواة ملة طويلة الاجل وافرة العدد . لهذا يندر في اجيال وجود بعض رجال يقومون باحياء امة او ارجاع شرفها ومجدها اليها وان كان المتشبهون بهم كثيرين وكما ان المنطب القاصر في الامراض البدنيه لايزيد علاجه المرض الاشدة لولا مساعدة الاتفاق والصدفة بل ربما يفضي بالمريض الى الموت كذلك يكون حال الذين يقومون بتعديل اخلاق الامم عَلَى غير خبرة تامة بشانها وموجب اعتلالها ووجوه العلة فيها وانواعها وما يكتنف ذلك من العادات وما يوجد في افرادها من المذاهب والاعتقادات وحوادثها المتتابعة عَلَى اختلاف مواقعها من الارض ومكانتها الاولى من الرفعة ودرجتها الحالية من الضعة وتدرجها فيمابين المنزلتين فان اخطاء طالب اصلاحها في اكتناه شيء مما ذكرنا تحول الدواء داء والوجود فناء .

فمن له حظ من الكمال الانساني ولم يطمس من قلبه موضع الالهام الالهي لايجرا عَلَى القيام بما يسمونه تربية الامم واصلاح مافسد منها وهو يحس من نفسه ادنى قصور في اداء هذا الامر العظيم علما

او عملاً · نعم يكون ذلك من محبي الفخفخة الباطلة وطلاب العيش في ظل وظائف ليسوا من حقوقها في شيء

ظن قوم في هذه الازمان ان امراض الامم تعالج بنشر الجرائد وانها تكفل انهاض الامم وتنبيه الافكار وتقويم الاخلاق · كيف يصدق هذا الظن وانا لو فرضنا ان كتاب الجرائد لايقصدون بما يكتبون إلاَّ نجاح الامم مع التنزه عن الاغراض فبعد ما عم الذهول واستولت الدهشة عَلَى العقول وقــل القارئون والكاتبون لا تجد لها قارئاً ولئن وجدت القاري فقلما تجد الفاهم والفاهم قد يحمل مايجده على غير ما يراد منه لضيق في التصور او ميل مع الهوى فلا يكون منه إلاَّ سوء التأثير فيشبه غذاء لا يلائم الطبع فيزيد الضرر اضعافاً · عَلَى ان الهمة اذا كانت في درك الهبوط فمن يستطيع تفهيمها فائدة الجرائد حتى تتجه منها الرغبات لاستطلاع ما فيها مع قصر المدة وتدفق سيول الحوادث ان هذا وحقك لعزيز

ويظن قوم اخرون ان الامة المنبعثة في اقطار واسعة من الارض مع تفرق اهوائها واخلادها الى ما دون رتبتها بدرجات لا تحصر ورضاها بالدون من العيش والتماس الشرف بالانتماء لمن ليس من جنسها ولا من مشربها بل لمن كان خاضعاً لسيادتها راضخاً لاحكامها مع هذا كله يتم شفاها من هذه الامراض القاتلة بانشاء المدارس العمومية دفعة واحدة في كل بقعة من بقاعها وتكون على الطرز الجديد المعروف باوربا

حتى تعم المعارف جميع الافراد في زمن قريب ومتى عمت المعارف كملت الاخلاق واتحدت الكلمة واجتمعت القوة · وما ابعد ما يظنون فان هذا العمل العظيم انما يقوم به سلطان قوي قاهر يحمل الامة عَلَى ما تكره ازماناً حتى تذوق لذته وتجني ثمرته ثم يكون ميلها الصادق من بعد نائباً عن سلطته في تنفيذ ما اراد من خيرها ويلزم له ثروة وافرة تفي بنفقات تلك المدارس وهي كثيرة وموضوع كلامنا في الضعف ودوائه فهل مع الضعف سلطة تقهر وثروة تغني ولو كان للامة هذان لما عدت من الساقطين

فان قالوا يمكن التدريج مع الاستمرار والثبات وافقناهم على الامكان لولا ما يكون من طمع الاقوياء حتى لا يدعون لهم سبيلاً لان يستنشقوا نسيم القوة فاين الزمان لنجاح تلك الوسائل البطيئة الاثر

عَلَى انا لو فرضنا مسالمة الدهر ومنحت الامة مدة من الزمان تكفي لبث تلك العلوم في بعض الافراد والاستزادة منها شيئاً فشيئاً فهل يصح الحكم بان هذا التدرج يفيدها فائدة جوهرية وان ما يصيبه البعض منها يهيئه للكمال اللائق به ويمكنه من القيام بارشاد الباقي من ابناء امته · واعجبا كيف يكون هذا وان الامة في بعد عن معرفة تلك العلوم الغريبة عنها وكيف بذرت بذورها وكيف نبتت واستوت على سوقها واثمرت واينعت وباي ماء سقيت وباي تربة غذيت ولا وقوف لها على الغاية التي قصدت منها في مناشئها ولا خبرة لها بما يترتب عليها

من الثمرات وان وصل اليها طرف من ذلك فانما يكون ظاهراً من القول لانباء عن الحقيقة · فهل مع هذا يصيب الظن بان مفاجأة بعض الافراد بها وسوقها الى اذهانهم المشحونة بغيرهـا يقوم من افكارهم ويعدل من اخلاقهم ويهديهم طرق الرشاد في افادة اخوانهم

لعل الاقرب ان ناقلي تلك العلوم وهم من امة هذا شانها مع ما ينعكس اليهم من الاوهام المالوفة فيها ومارسخ في نفوسهم عَلَى عهد الصبا وما يعظمونه من امر الامة التي تلقوا عنها علومهم يكونون بين امتهم نخلط غريب لا يزيد طبائعها الا فساداً

ماذا يكون من اولئك الناشئين في علوم لم تكن ينابيعها من صدورهم ولو صدقوا في خدمة اوطانهم · يكون منهم ما تعطيه حالهم يؤدون مـا تعلموه كما سمعوه لا يراعون فيه النسبة بينه وبين مشارب الامة وطباعها ومـا مرنت عليه من عاداتها فيستعملونه على غير وضعه ولبعدهم عن اصله ولهوهم بحاضره عن ماضيه وغفلتهم عن آتيه يظنونه عَلَى ما بلغهم هو الكمال لكل نفس والحيوة لكل روح فيرومون من الصغير ما لا يرام إلاَّ من الكبير وبالعكس غير ناظرين الاَّ الى صور ما تعلموه ولا مفكرين في استعداد من يعرض عليهم وهل يكون له من طباعهم مكان يحمد او يزيدها عَلَى ما بها اضعافاً ومـا هذا الا لكونهم ليسوا اربابها وانما هم لها نقلة حملة

فهولاء الصادقون الا من وفقه الله منهم بعنايته الالهية يكون مثلهم

كمثل والدة حنون يلذ لها غذاء فتفيض منه عَلَى ولدها وهو رضيع ليساهمها في اللذة وسنه سن اللبان لا يقبل سواه فيسرع اليه المرض وينتهي به الى التلف فتكون منزلتهم من الامة منزلة الالة المحللة يشتتون بقية الجمع ويبددون اخريات الالتئام ان كان الفساد ابقى للقوم بعض الروابط فهولاء المغرورون يغشونهم بما يذهلهم عنها وما قصدوا الا خيراً ان كانو مخلصين ويوسعون بذلك الخصاص حتى تعود ابواباً ويباعدون ما بين الضفاف حتى تصير ميادين لتداخل الاجانب فيهم تحت اسم النصحاء وعنوان المصلحين ويذهبون بامتهم الى الفنا والاضمحلال وبئس المصير

شيد العثمانيون والمصريون عدداً من المدارس على النمط الجديد وبعثوا بطوائف منهم الى البلاد الغربية ليحملوا اليهم ما يحتاجون له من العلوم والمعارف والصنائع والاداب وكل ما يسمونه تمدناً وهو في الحقيقة تمدن للبلاد التي نشا فيها عَلَى نظام الطبيعة وسير الاجتماع الانساني · هل انتفع المصريون والعثمانيون بما قدموا لانفسهم من ذلك وقد مضت عليهم ازمان غير قصيرة · هل صاروا احسن حالاً مما كانوا عليه قبل التمسك بهذا الحبل الجديد · هل استنقذوا انفسهم من انياب الفقر والفاقة هل نجوا بها من ورطات ما يلجئهم اليه الاجانب بتصرفاتهم · هل احكموا الحصون وسدوا الثغور هل نالوا بها من المنعة ما يدفع غارة الاعداء عليهم · هل بلغوا من البصر بالعواقب والتصرف في الافكار

حداً يميل عزائم الطامعين عنهم . هل وجدت فيهم قلوب مازجتها روح الحياة الوطنيه فهي تؤثر مصلحة البلاد عَلَى كل مصلحة وتطلبها وان تجاوزت محيط الحياة الدنيا وان بادت في سبيلها خلفها وارث عَلَى شاكلتها كما كان في كثير من الامم

نعم ربما وجد بينهم افراد يتغيقهون بالفاظ الحرية والوطنية والجنسية وما شاكلها ويصوغونها في عبارات متقطعة بتراء لاتعرف غايتها ولا تعلم بدايتها ووسموا انفسهم زعماء الحرية او بسمة اخرى على حسب مايختارون ووقفوا عند هذا الحد . ومنهم آخرون عمدوا الى العمل بما وصل اليهم من العلم فقلبوا اوضاع المباني والمساكن وبدلوا هيئات المآكل والملابس والفرش والانية وسائر الماعون وتنافسوا في تطبيقها عَلَى اجود مايكون منها في الممالك الاجنبية وعدوها من مفاخرهم وعرضوها معرض المباهاة فنسفوا بذلك ثروتهم الى غير بلادهم واعتاضوا اعراض الزينة مما يروق منظره ولا يحمد اثره فاماتوا ارباب الصنائع من قومهم واهلكوا العاملين في المهن لعدم اقتدارهم ان يقوموا بكل ماتستدعيه تلك العلوم الجديدة من الحاجيات الجديدة والكماليات الجديدة لان مصانعهم لم تتحول الى الطرز الجديد وايديهم لم تتعود على الصنع الجديد وثروتهم لاتسع جلب الآلات الجديدة من البلاد البعيدة وهذا جدع لانف الامة يشوه وجهها ويحط بشأنها وما كان هذا إلا لان تلك العلوم وضعت فيهم عَلَى غير اساسها وفجأتهم

قبل اوانهـا ٠

علمتنا التجارب ونطقت مواضي الحوادث بان المقلدين من كل امة المنتحلين اطوار غيرها يكونون فيها منافذ وكوى لتطرق الاعداء اليها وتكون مدار كهم مهابط الوساوس ومخازن الدسائس بل يكونون بما افعمت افئدتهم من تعظيم الذين قلدوهم واحتقار من لم يكن علَى مثالهم شؤما علَى ابناء امتهم يذلونهم ويحقرون امرهم ويستهينون بجميع اعمالهم وان جلت وان بقي في بعض رجال الامة بقية من الشمم او نزوع الى معالي الهمم انصبوا عليه وارغموا من انفه حتى يمحى اثر الشهامة وتخمد حرارة الغيرة و يصير اولئك المقلدون طلائع لجيوش الغالبين وارباب الغارات يمهدون لهم السبل و يفتحون الابواب ثم يثبتون اقدامهم ويمكنون سلطتهم ذلك بانهم لا يعلمون فضلاً لغيرهم ولا يظنون ان قوة تغالب قواهم٠ اقول ولا اخشى لوما لو كان في البلاد الافغانية عدد قليل من تلك الطلائع عند ماتغلب علَى بعض اراضيها الانكليز لما بارحوها ابد الابدين ٠ فان نتيجة العلم عند هولا ليست إلاّ توطيد المسالك والركون الى قوة مقلديهم واستقبال مشارق فنونهم فيبالغون في تطمين النفوس وتسكين القلوب حتى يزيلون الوحشة التي قد يصون بها الناس حقوقهم و يحفظون بها استقلا لهم ولهذا لو طرق الاجانب ارضاً لاية امة ترى هولا المتعلمين فيها يقبلون عليهم و يعرضون انفسهم لخدمتهم بعد الاستبشار بقدومهم و يكونون بطانة لهم ومواضع لثقتهم كانما هم منهم

ويعدون الغلبة الاجنبية في بلادهم مباركة عليهم وعلى اعقابهم
فما الحيلة وما الوسيلة والجرائد بعيدة الفائدة ضعيفة الاثر لو صحت الضمائر فيها والعلوم الجديدة لسوء استعمالها رأينا مارأينا من اثارها والوقت ضيق والخطب شديد · اي جهوري من الاصوات يوقظ الراقدين على حشايا الغفلات · اسيء قاصفة تزعج الطباع الجامدة وتحرك الافكار الخامدة اي نفخة تبعث هذه الارواح في اجسادها وتحشرها الى مواقف صلاحها وفلاحها · الاقطار فسيحة الجوانب بعيدة المناكب · المواصلات عسرة بين الشرقي والغربي والجنوبي والشمالي · الروس مطرقة الى ماتحت القدم او منغضة الى مافوق السماء ليس للابصار جولان الى الامام والخلف واليمين والشمال ولا للاسماع اصغا ولا للنفوس رغبات وللاهواء تحكم وللوساوس سلطان ·

ماذا يصنع المشفقون عَلَى الامة والزمن قصير ماذا يحاولون والاخطار محدقة بهم باي سبب يتمكنون ورسل المنايا على ابوابهم · لااطيل عليك بحثا ولا اذهب بك في مجالات بعيدة من البيان ولكني استلفت نظرك الى سبب يجمع الاسباب ووسيلة تحيط بالوسائل · ارسل فكرك الى نشأة الامة التي خملت بعد النباهة وضعفت بعد القوة واسترقت بعد السيادة وضيمت بعد المنعة وتطلب اسباب نهوضها الاول حتى تتبين مضارب الخلل وجراثيم العلل فقد يكون ماجمع كلمتها وانهض همم احادها ولحم مابين افرادها وصعد بها الى مكانة تشرف منها

عَلَى روس الامم وتسوسهم وهى في مقامها بدقيق حكمتها انما هو دين قويم الاصول محكم القواعد شامل لانواع الحكم باعث على الالفة داع الى المحبة مزك للنفوس مطهر للقلوب من ادارن الخسائس منور للعقول باشراق الحق من مطالع قضاياه كافل لكل مايحتاج اليه الانسان من مباني الاجتماعات البشرية وحافظ وجودها ويتأدى بمعتقديه الى جميع فروع المدنية ٠

فان كانت هذه شرعتها ولها وردت وعنها صدرت فما تراه من عارض خللها وهبوطها عن مكانتها انما يكون من طرح تلك الاصول ونبذها ظهريا وحدوث بدع ليست منها في شى اقامها المعتقدون مقام الاصول الثابتة واعرضوا عما يرشد اليه الدين وعما اتي لاجله وما اعدته الحكمة الالهية له حتى لم يبق منه إلاّ اسماء تذكر وعبارات تقرا فتكون هذه المحدثات حجاباً بين الامة وبين الحق الذى تشعر بندائه احيانا بين جوانحها

فعلاجها الناجع انما يكون برجوعها الى قواعد دينها والاخذ باحكامه عَلَى ما كان في بدايته وارشاد العامة بمواعظ الوافية بتطهير القلوب وتهذيب الاخلاق وايقاد نيران الغيرة وجمع الكلمة وبيع الارواح لشرف الامة ولان جرثومة الدين متاصلة في النفوس بالوراثة من احقاب طويلة والقلوب مطمئنة اليه وفي زواياها نور خفي من محبته فلا يحتاج القائم باحيا الامة إلاّ إلى نفخة واحدة يسري نفسها في جميع

الارواح لاقرب وقت فاذا قاموا لشونهم ووضعوا اقدامهم عَلَى طريق نجاحهم وجعلوا اصول دينهم الحقة نصب اعينهم فلا يعجزهم بعد ان يبلغوا بسيرهم منتهى الكمال الانساني

ومن طلب اصلاح امة شانها ماذكرنا بوسيلة سوى هذه فقد ركب بها شططا وجعل النهاية بداية وانعكست التربية وخالف فيها نظام الوجود فينعكس عليه القصد ولا يزيد الامة إلا نحسا ولا يكسبها إلا تعسا ٠

هل تعجب ايها القارى من قولي ان الاصول الدينية الحقة المبراة عن محدثات البدع تنشي للامم قوة الاتحاد وائتلاف الشمل وتفضيل الشرف عَلَى لذة الحياة وتبعثها عَلَى اقتناء الفضائل وتوسيع دائرة المعارف وتنتهي بها الى اقصى غاية في المدنية ٠ ان عجبت فان عجبي من عجبك اشد ٠ هل نسيت تاريخ الامة العربية وما كانت عليه قبل بعثة الدين من الهمجية والشتات واتيان الدنايا والمنكرات حتى اذا جاءها الدين فوحدها وقواها وهذبها ونور عقولها وقوم اخلاقها وسدد احكامها فسادت على العالم وساست من تولته بسياسة العدل والانصاف وبعد ان كانت عقول ابنائها في غفلة عن لوازم المدنية ومقتضياتها نبهتها شريعتها وايات دينها الى طلب الفنون المتنوعة والتبحر فيها ونقلوا الى ديارهم طب بقراط وجالينوس وهندسة اقليدس وهيئة بطليموس وحكمة افلاطون وارسطو وما كانو قبل الدين في شي من هذا وكل امة

سادت تحت هذا اللواء انما كانت قوتها ومدنيتها في التمسك باصول دينها

وقد تكون نشأة الامة قائمة بدعوة الملك وافتتاح الاقطار وطلب السيادة على الامصار وتلك الدعوة لما تستدعيه من عظم الهمم وارتفاع النفوس عن الدنايا وبعد الغايات وعلو المقاصد هي التي هذبت اخلاقهم وقومت افكارهم وكفتهم عن معاطاة الرذائل وخسائس الامور وسوافلها ثم بعد مضي زمان من نشأتها اصابها من الانحطاط ما اصابها فبيان اسباب الخلل فيها وعلاته نفرد له فصلاً مستقلاً في عدد اخر ان شاء الله وهو الموفق للصواب ٠

الشيخ المرغني

ورد تلغراف من سواكن في ٢١ مارس مفاده ان الشيخ المرغني ومعه شيخ آخر يقال انه من مكة ذهبا في ذلك اليوم الى المعسكر الانكليزي ليحضر خضوع كثير من مشائخ القبائل الذين جنحوا الى السلم مع الانكليز ٠ وفي خبر اخر ان هذا المرغني صاحب فرقة انكليزية تسير الى بير هندوك ليكون على يديه طاعة بعض القبائل في تلك النواحي ويقال ان احداها لم تزل مترددة في قبول الطاعة وعدمه

هذا مما يعجب منه ان شيخاً يظهر بين المسلمين بمظهر العلم والارشاد ثم يقود جيشاً انكليزياً لاذلال ابناء ملته واخوان دينه وجنسه وهو يعلم

ان شرفه شرفهم وسيادته بسيادتهم ولولاهم ما نال الاكرام والاجلال وما اغدقت عليه النعمة وتوفرت لديه دواعي الترف والنعيم وتمتع بكامل لذاته وشهواته . كيف يسوغ له ان يقدم جيوش الانكليز قبل الوقوف عَلَى مقاصدهم وماذا يريدون من تذليل العرب واخضاعهم . هل يصح له ان ياتي امراً مثل هذا وهو يعلم ما يحذره الشرع وما يبيحه اغتراراً ببعض الاوهام التي لا اساس لها

وكتب الينا من مصر والحجاز ان جماعة من العلماء في القطرين حكموا بمروقه وقالوا ان هذا من اعظم الزلات التي لم يرتكب نظيرها في الاسلام عَلَى انه ليس من العلماء ولا من العارفين بطرق الارشاد وانما نال الاعتقاد عند بعض السودانيين وراثة عن ابيه وانه لم يتميز عن العامة الاميين في شيء وان كان هذا لا يدفع العجب من فعله

خرطوم

في الجرائد الفرنساوية نقلاً عن الانكليزية ان اشياع محمد احمد كانوا في مساء الثالث عشر من شهر مارس ثلاثة الاف على القرب من خرطوم وفي صباح الرابع عشر وصلوا الى ستة الاف وهو يدل عن ان الجنرال كردون عنده شيء من قوة الدفاع حيث لم تقدم تلك القوة عَلَى مهاجمة المدينة لكن ماذا يجي من طوعه ان يفعل مع هذه الالاف

المؤلفة التي تتضاعف يوماً بعد يوم وهم يحدقون بمحل اقامته من جميع الجوانب ومما يدل عَلَى انه في اصعب المضايق بل على شفير الخطر اتفاق الجرائد الانكليزية عَلَى دعوة حكومتها لانقاذه بغاية السرعة · وفي اخبار الخامس عشر من الشهر ان فرقاً من الثائرين متحصنون عَلَى شواطيء النيل بمقربة من حلفية على مسافة بضعة اميال من شمال خرطوم وانهم اطلقوا النيران على مركب كانت تسير في النيل حاملة ثلاثماية رجل استقدمهم الجنرال كوردن، فقتلوا منهم نحو مائة الاَّ انه تيسر للجنرال استخلاص باقيهم واستبشرت جريدة التمس بهذا الظفر الذي تسنى للجنرال بتخليص بقية القادمين اليه وان اظهرت غاية الكدر من كونه في خطر عظيم وثائرة السودان تحيط بجميع اطرافه وتستحث حكومتها عَلَى انقاذه ما استطاعت (والله يعلم كم بين ذاك الاستبشار وهذا الانذار وهما في فصل واحد)

وفي تلغراف الى الدلي نيوز ان طرق خرطوم منقطعة وان القبائل المذعنة لمحمد احمد محدقة بجميع جهاتها وان ثلاثة من تلك القبائل وافرة العدد وعَلَى مقدمتها جم غفير من المشائخ والدراويش يزحفون قصد الاستيلاء عليها ويظن عموم الناس ان لا سبيل لمدافعتهم عنها او تخليصها منهم الا بانجاد عساكر انكليزية · وقال مراسل التمس في ٢١ من الشهر ان من الواجب عَلَى الحكومة الانكليزية اغاثة الجنرال كردون فانها قد القته في فم الاسد وسيكون فريسة المنية ان لم ترسل

العساكر اليه بغاية السرعة

وجاءت الاخبار مؤكدة ان حصن كسالا تحت محاصرة الثائرين وان القبائل في جنوب بربر جميعها في هيجان وثورة شديدة

وهذا كله يؤيد ما قلناه مراراً من ان هذا المدعي يخشى من قوة يأسه وسريان دعوته الى جهات بعيدة فانه اذا استقر قدمه في خرطوم لم نلبث ان نسمع بظهور دعواه في اصوان

تحكم اللورد دوفرين

نهجب دولة الانكليز في معاملتها للدولة العثمانية منهجاً جديداً بعد حرب الروس تأخذها بالتهديد والتهويل في كل ما تروم قضاءه من اغراضها في الممالك العثمانية ولا تراعي فيما تفعل قانوناً دولياً ولا عهداً سياسياً وتتحكم بجبروتها في تحديد المواعيد وتعيين الاوقات . واعظم ما يكون من مرهباتها الوعيد بتغير قلبها عن وداد تلك الدولة او اشمئزاز نفسها منهـا ولا تفرق في نهجها هذا بين صغار المسائل وكبارها .

ومن ذلك مارواه جميع الجرائد من اشتداد اللورد دوفرين سفير انكلترا في الاستانة على سعيد باشا الصدر الاعظم واغلاظه له في القول عند التكلم في شأن شركة عثمانية تحت رعاية دولتلو بهرام اغا منحها الباب العالي امتيازاً بتسيير سفن النقل عَلَى شطوط البحر الابيض وكان هذا العمل في يد شركة انكليزية (لم تأخذ به امتيازاً) فامتعض اللورد دوفرين وطلب من الباب العالي استرداد منحته فلم يجب طلبه فذهب يوم الخميس الماضي الى الصدر الاعظم وخشن له المقال ونسب الى الباب العالي تعمد المراوغة ولما تنصل له الصدر بان هذا ليس من

خصائصه بل يتعلق بناظر الخارجية قال انه لايخابر فيه نظارة الخارجية (وان كان من خصائصها) وانه يلقي التبعة عَلَى الصدر الاعظم اذا تأخر الجواب بقبول حجته وان لابد من تعويض لمن اصابته خسارة بسبب هذا الامتياز من الانكليز مع تحرير اعتذار رسمي وعزل والي ازمير ٠

فاذا بلغ امرنا الى الخضوع بكل تهديد والانقياد باي ارهاب وصارت مسائلنا الداخلية تحت اختيار من يستطيع ان يلقي التبعة و يبالغ في الخشونة فانا لله وانا اليه راجعون ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم

مقاصد انكليزية في مصر

في كل يوم تلح جريدة التمس عَلَى حكومة انكلترا بوجوب طرد العساكر المصرية الوطنية زاعمة انه يحل من الاهالي محل القبول و يسرون منه غاية السرور وتشير عَلَى الحكومة ايضاً ان تجهر بحمايتها لمصر وتظهر للدول انها تتحمل كل تبعة تحصل من مداخلتها في تلك البلاد وان ذلك من مقتضى الحزم فان الادارة المصرية وفروعها في حاجة الى اصلاح حقيقي وان يقوم به إلاّ رجال الانكليز٠

وهذا من تلك الجريدة وغيرها سوق للحكومة الى اظهار ما اكنة من السلطة عَلَى البلاد المصرية وضمها الى ممالكها الشرقية وما كان ذلك خافياً عَلى احد وان كان بعض المصريين غالطوا فيه انفسهم عن علم او جهل والله اعلم ٠

وما تطلبه الجرائد من طرد العساكر الوطنية انما هو مقدمه التملك ورسوخ القدم ثم هي تموه في تحسين ذلك بدعواها ان اهالي مصر يفرحون منه مع ان اول ثورة عسكرية سربها المصريون عَلَى عهد وزارة ولسون انما كان منشاوها العزم عَلَى تقليل عدد العساكر واقفال المدرسة العسكرية فالمصريون وهم هم وهم المسلمون لا تعقل مسرتهم من طرد حاميتهم الوطنية بل ينزعجون منه غاية الانزعاج ٠

حجة نوبار باشا

في تلغراف من القاهرة بتاريخ ٢٢ مارس ان نوبار باشا اقام الحجة على المستر كليفورد لويد (وكيل الداخلية المصرية) ورفع حجته الى الماجور بارنج ٠

هذا الذي بقي لاولي الامر من الشرقيين يقيمون الحجج والبراهين ويقنعون بان برهانهم سالم المقدمات صحيح النتيجة عند العقل إلا ان بعضهم يقيم حجته على بعض الدول عند بعض آخر منها و بعضهم يقيمها عند اوليائه من الاجانب وهو منهم وفيهم ٠ ان هذا لشي عجاب

عثمان دجمه

في التلغرافات الاخيرة ان فرقة انكليزية ستفارق هندوك وتتوجه الى نواحي تمانيه (محل المعركة الماضية) لتعسكر في تلك الجهات ويظنون ان اقامتهم بها يكفي لخضوع القبائل غير ان عثمان وعد قومه بانه سيأتيه امر الهي بعد ستة ايام ليبيد بقوته عساكر الانكليز واشيع ان محمد احمد سيبعث اليه بمدد ٠

معاملة محمد احمد للرسل المسيحيين

جاء الي خرطوم ضابط مصرى كان في عبيد واخبر ان رسل الكاثوليك في تلك المدينة تحت كنف محمد احمد على حرية تامة تجري عليهم الارزاق من طرفه للواحد منهم في كل شهر خمس تليرات (ريالات) ونصف وان كنيستهم مفتحة الابواب وان كانت

المدارس معطلة للضرورة ·

وهذا العمل منه يرشد الى ان له دها وذكا وخبرة بما يجب الاخذ به في معاملة ارباب المذاهب والاديان المخالفة لدينه ومذهبه وهذا يزيدنا خوفا من استفحال امره وانتشار دعوته·

اخبار اخيرة

كتب مراسل الدلي نيوز المرافق للجيش الانكليزي في سواحل البحر الاحمر ان الجيوش الانكليزية تقاسي مصاعب ومشاق شديدة في قطع الطريق الى حيث تلتقي مع جيوش عثمان دجمه لتلتحم معها في القتال مرة ثالثة فان الحرشديد والمسالك وعرة والمياه مضرة بالصحة مع قلتها ولم يجوزوا الى اول مرحلة إلا وقد اجهدهم التعب واستولى عليهم الوهن فاعجز اربعماية منهم عن المسير ·

قالت جريدة التان ان هذا الهجوم لم تتبين غايته ولما سئل عنه مستشار خارجية انكلترا في البرلمان لبس في الجواب وراوغ في بيان الحقيقة كانه يريد التملص مما عساه ان يرد عليه من بعد واخفا المقصد حتى اذا لم ينجحوا فيه ستروا مايلحقهم من خجل الاخفاق في السعي وموهوا على مايمسهم من الشين · ويغلب على الظن ان القصد منه فتح الطريق بين بربر وسواكن لتتمكن حكومة الانكليز من مخابرة الجنرال

كوردن من جهة سواكن (حيث تعسرت عليها من طريق خرطوم بعد محاصرتها بجيوش محمد احمد من اطرافها المتصلة بالنيل)

ويقول مراسل الدلي نيوز ان الشدة لو دامت بالعساكر الانكليزية على حالتها الحاضرة فلا بد ان تصير غنيمة باردة لعثمان دجمه وفريسة ناجزة لاشياعه

وفي جريدة التمس ان القلق في لوندرة شديد والاضطراب بالغ فيها حده وعموم الناس يتطلعون الى الاخبار المصرية دقيقة بعد دقيقة واتبعت ذلك تلك الجريدة بقولها ان لم يتيسر لحكومة انكلترا فتح طريق بربر بهذا الزحف الجديد ضعف الامل من فتح هذا الطريق في وقت اخر وعز على انكلترا اجراماً فرضته على نفسها في الاقطار المصرية وقل الرجا في تسوية المسئلة السودانية بطريقة محمودة

عزمت حكومة الروسيا بعد حلولها في مرو على ان تجعل ورا بحر الخزر من البلاد الداخلة تحت سلطتها حكومة خاصة بها لها مركز معين وقاعدة ترد اليها احكام تلك النواحي حتى تسهل المواصلة بينها وبين مرو وهذه حركة جديدة لدولة روسيا في اطراف اسيا وهي وان كانت لاتسر المحبين لانكلترا ولكنها لاتحزن اعدائها

باريس

يوم الخميس في ٧ جمادي الثانية سنة ١٣٠١ و٣ افريل سنة ١٨٨٤

اشد ما كانت هيبة الانكليز وملكتها عَلَى قلوب الشرقيين قبل تكتيب الكتائب وعقد الالوية وسوق العساكر لمقاتلة عثمان دجمه على اميال من سواحل البحر الاحمر وكان يخيل للسودانيين بل يلابس اعتقادهم ان القوة الانكليزية مما فوق الطبيعة وعن مثلها تصدر خوارق العادات وكان من ظنون الشرقيين في اقطار اخر ان غرائب القدرة البريطانية بلغت مبالغ السحر تدهش الالباب وتحير العقول واذا خلج في صدور امة من الامم صغيرة او كبيرة لبعدها عن مركزها ان تغالبها عَلَى حق او تناويها في مرغوب انشقت الارض وانفطرت السماء عن كماة من الانكليز يصبون عليها اسواط العذاب ويذيقونها اليم الوبال ويخلبون الارواح من الاجساد فيغلبون ولا يغلبون خصوصاً ان كان مغالبوهم لايحملون من السلاح إلا نوعاً من الصنع القديم مما كان يستعمله ابناء نوح بعضهم في مدافعة بعض .

إلا ان هذه الدولة العظيمة الجأتها حوادث السودان ان تسوق جيشا للايقاع ببعض العرب في نواحي سواكن فتحركت الجيوش المنظمة لملاقاة عثمان ورجاله وبني القواد في الزحف قلاعا « مربعات »

من العساكر الباسلة مدرعة بلوأم من حراب البنادق « السنج » مسيجة بالالات الجديدة من صنع رمنتون وهنري مارتين عَلَى اجود طرز يكون منه وحصنوها بابراج من المدافع لاتدانيها من سكان تلك القفار قوة ولا تسموا اليها منهم قدرة لكن قوة اليقين او تحكم الجهل دفع على الصفوف الانكليزية جماعة من عراة العرب وحفاتهم فهدموا قلاعها ونقضوا بنيانها وقوضوا ابراجها وبعد تدافع وتضام وتقدم وتأخر في موقعتين عظيمتين كر الانكليز الى سواكن « ساحل البحر » واخلوا ساحات القتال وتقهقر العرب الى الجبال وعج الانكليز غلبنا وانتقمنا.

ماذا اثرت هذه الغلبة العجيبة في نفوس السودانيين ثبتت اقدامهم وقوت جاشهم وجمعت كلمتهم وذهبت بما كان يخامر قلوبهم من الهيبة والرعب فجمعوا قواهم واستعدوا للقتال مرة ثالثة فحرموا لسوء البخت او حسن الحظ من ملاقاة خصومهم لان شدة الحر كانت من اعدائهم او نصرائهم حيث الجأت العساكر الانكليزية للجلاء عن تلك الديار فاسرعت الى البحر لايستقر لها قدم الا في مصر او انكلترا وما اثارته هذه الغلبة في قلوب السودانيين من ثائرة التهور دعاهم لتضييق الحصر عَلَى خرطوم لما علموا ان ليس في قدرتهم ان يقتفوا اثر الانكليز في البحر ولا يستطيعون الايغال في طلبهم وهم على غوارب الموج ولما اشتد الضيق بمن في خرطوم نهض الجنرال كوردون بشجاعة الابطال لرفع الحصار فلم تكن إلا كرة تبددت فيها جيوشه

واعقبتها فرة الى داخل المدينة لينتظر ما ياتي به القضاء

ولكن ليستر وجه الهزيمة رمى ضابطين عظيمين من ضباط المصريين بالخيانة وامر ان يضربا بالرصاص فضربا وماتا وهما حسن باشا وسعيد باشا «في اخبار التلغرافات» اما هذ الغلب في السواحل عَلَى هذه الصورة البديعة وما حل بكوردون فقد اسقط من شان انكلترا وقوتها في اقطار السودان عموماً وجعل كلمتها هي السفلى وبعث السودانيين عَلَى الاعتقاد بانه احدى كرامات محمد احمد لا حول ولا قوة إلا بالله

خطب يعقب خطباً وكرب يحدث كرباً هذه الصدمات المتتالية كشفت بعض الستار وشف بها الحجاب واحدثت هزة في قلوب الهنديين فكثر النوابون والرجاوات عن انيابهم ومدوا سواعدهم ينظرون الى مَ تطول ويراجع كل واحد نفسه ويمنيها بقرب الخلاص من ضيق الاستعباد ويلمح الفرص من خلال هذه الحوادث . انتشرت اخبار المصائب التي حلت بالجيوش الانكليزية من مصيبة هكس الى ما بعدها في جميع ارجاء الهند وترى الناس زرافات وفرادى يتناجون في هذه المسئلة ويرجعون عَلَى انفسهم باللائمة فيما فرطوا من قبل وهم عَلَى ربوة الامل يستطلعون سوانح الفرص خصوصاً المسلمين فيهم كما انباتنا به الرسائل الواردة الينا من اقطار مختلفة من البلاد الهندية . ونظن ان الدولة الانكليزية وعماد قوتها الايهام والتغرير يصعب عليها بعد الان ان

تعيد منزلتها الاولى في نفوس الشرقيين خصوصاً اذا افضت حوادث خرطوم الى قتل كوردون او اسره وافتتاح تلك المدينة وهي عاصمة السودان

يزيد الطين بلة ان يشتد العثمانيون ويأخذوا بالحزم وقوة العزم في صيانة حقوقهم باي وسيلة كانت وربما نراه واقعاً فان العقلاء منهم لا يغفلون عن حاجة الانكليز لمسالمتهم لان الانكليز يحكمون على خمسين مليوناً من المسلمين جميعهم يعترفون بحقوق السلطان ويجيبون داعيه اذا دعاوهم له اطوع من الترك انفسهم والحذاق من العثمانيين وان كانوا يرون ان انكلترا لا تعامل الدولة إلا بالتهديد والارهاب وجعلت هذا طريقاً لنيل اغراضها منها إلا انهم يعلمون ان من المحال على انكلترا ان تشهر على الدولة حرباً فان سياسي بريطانيا وهم اشد الناس خبرة بدقائق الامور فضلاً عن جلائلها لا يخفى عليهم ما تكنه قلوب الهنديين من محبة صاحب السلطة الاسلامية بل هم على يقين بانهم لو جهروا بالحرب للعثمانيين لتقوضت سلطتهم في الهند لاول وهلة لا على المسلمين خاصة ولكن يتبعهم الوثنيون وهذا ظاهر عند كل انكليزي وان خفي على بعض العثمانيين ورام ستره عن باقيهم

الاعتقاد بمحمد احمد اخذ سبيلاً في قلوب الهنديين حتى كتب الينا احد اصدقائنا في لاهور ان محمد احمد لو كان دجالاً لاوجبت علينا الضرورة ان نعتقده مهدياً وان لانفرط في شيء مما يؤيده

بعد هذا كيف يمكن للانكليز دفع غائلة محمد احمد حر السودان

منع وسيمنع من جولان العساكر فيه وطلب العساكر من كورکو وسيك بعد شيوع هذه الدعوى في الهند مما لا تجوزه الحكمة ولا نظن ان انكلترا تثير حرباً صليبية بحكومة الحبش على مسلمي السودان لانه يفسد عليها امر الهند ويخالف احكام المدنية الحاضرة

فما هي اخر الحيل ايكتفي بحفظ القنال مع ترك الفتنة يسري لهيبها الى مصر العليا بل الى السفلى اني اخشى كما يخشى العقلاء من شيوع هذه الدعوى و كثرة المعتقدين بها ان يلم منها ضرر بدولة انكلترا وبكل من له حق في مصر فعلى الانكليز كما نصحنا مراراً ان يضونوا بلادهم ويحفظوا طريق الهند بتفويض الامر للعثمانيين واولي العزم من المصريين قبل فوات الوقت والى الله ترجع الامور

ان في ذلك لذكرى لمن كان له قلب او القى السمع وهو شهيد

خلق الله الانسان عالماً صناعياً و يسر له سبيل العمل لنفسه وهداه للابداع والاختراع وقدر له الرزق من صنع يديه بل جعله ركن وجوده ودعامة بقائه فهو على جميع احواله من ضيق وسعة وخشونة ورفاهة وتبد وحضارة صنيعة اعماله اقواته من معالجة الارض بالزراعة او قيامه على الماشية وسرابيله وما يقيه الحر والبرد والوجي من عمل يديه نسجاً او خصفاً

واكنانه ومساكنه ليست الا مظاهرة تقديره وتفكيره وجميع ما يتفنن فيه من دواعي ترفه ونعيمه انما هي صور اعماله ومجالي افكاره ولو نفض يديه من العمل لنفسه ساعة من الزمان وبسط اكفه للطبيعة ليستجديها نفساً من حياة لشحت به عليه بل دفعته الى هاوية العدم وهو في صنعه وابداعه محتاج الى استاذ يثقفه وهاد يرشده فكما يعمل لتوفير لوازم معيشته وحاجات حياته يعمل ليعلم كيف يعمل وليقتدر على ان يعمل فصنعته ايضاً من صنعه فهو في جميع شؤنه الحيوية عالم صناعي كانه منفصل عن الطبيعة بعيد من آثارها حاجته اليها كحاجة العامل لالة العمل . هذا الانسان في ماكله ومشربه وملبسه ومسكنه

دعه في هذه الحالة وخذ طريقاً من النظر الى احواله النفسية من الادراك والتعقل والاخلاق والملكات والانفعالات الروحية تجده فيها ايضاً عالماً صناعياً . شجاعته وجبنه جزعه وصبره كرمه وبخله شهامته وانذالته قسوته ولينه عفته وشرهه وما يشابهها من الكمالات والنقائص جميعها تابع لما يصادفه في تربيته الاولى وما يودع في نفسه من احوال الذين نشا فيهم وتربى بينهم مرامي افكاره ومناهج تعقله ومذاهب ميله ومطامح رغباته ونزوعه الى الاسرار الالهية او ركونه الي البحث في الخواص الطبيعية وعنايته باكتشاف الحقيقة في كل شيء او وقوفه عند بادي الراي فيه وكل ما يرتبط بالحركات الفكرية انما هي ودائع اختزنها لديه الاباء والامهات والاقوام والعشائر والمخالطون . اما هواء المولد

والمربى ونوع المزاج وشكل الدماغ وتركيب البدن وسائر الغواشي الطبيعية فلا اثر له في الاعراض النفسية والصفات الروحانية الا ما يكون في الاستعداد والقابلية عَلَى ضعف في ذلك الاثر فان التربية وما ينطبع في النفس من احوال المعاشرين وافكار المثقفين تذهب به كان لم يكن اودع في الطبع نعم ان افكاراً تتجدد ومعقولات عن اخري تتولد وصفات تسمو وهماً تعلو حتى يفوق اللاحقون فيها السابقين ويظن ان هذا من تصرف الطبيعة لا من اثار الاكتساب ولكن الحق فيه انه ثمرة ما غرس ونتيجة ما كسب فهو مصنوع يتبع مصنوعاً فالانسان في عقله وصفات روحه عالم صناعي

هذا مما لا يرتاب فيه العقلاء والسذج ولكن هل تذكرت مع هذا ان الاعمال البدنية انما تصدر عن الملكات والعزائم الروحية وان الروح هي السلطان القاهر عَلَى البدن اظنك لا تحتاج فيه الى تذكير لانه مما لا يغرب عن الاذهان انما قبل الدخول في موضوعنا اقول كلمة حق في الدين ولا اظن منكراً يجحدها : ان الدين وضع الهي ومعلمه والداعي اليه البشر تتلقاه العقول عن المبشرين المنذرين فهو مكسوب لمن لم يختصهم الله بالوحي ومنقول عنهم بالبلاغ والدراسة والتعليم والتلقين وهو عند جميع الامم اول ما يمتزج بالقلوب و يرسخ في الافئده وتصبغ النفوس بعقائده وما يتبعها من الملكات والعادات وتمرن الابدان عَلَى ما ينشا عنه من الاعمال عظيمها وحقيرها فله السلطة الاولى على الافكار

وما يطاوعها من العزائم والارادات فهو سلطان الروح ومرشدها الى ما تدبر به بدنها وكانما الانسان في نشأته لوح صقيل واول ما يخط فيه رسم الدين ثم ينبعث الى سائر الاعمال بدعوته وارشاده · وما يطرأ عَلَى النفوس من غيره فانما هو نادر شاذ حتى لو خرج ما رق عن دينه لم يستطع الخروج عما احدثه فيه من الصفات بل تبقى طبعته فيه كاثر الجرح في البشرة بعد الاندمال

وبعد هذا فموضوع بحثنا الان الملة المسيحية والملة الاسلاميةوهو بحث طويل الذيل وانما نأتي فيه عَلَى اجمال ينبئك عن تفصيل · ان الديانة المسيحية بنيت على المسالمة والمياسرة في كل شى وجاءت برفع القصاص واطراح الملك والسلطة ونبذ الدنيا وبهرجها ووعظت بوجوب الخضوع لكل سلطان يحكم المتدينين بها وترك اموال السلاطين للسلاطين والابتعاد عن المنازعات الشخصية والجنسية بل والدينية ومن وصايا الانجيل : من ضربك عَلَى خدك الايمن فادر له الايسر · ومن اخباره ان الملوك انما ولايتهم على الاجساد وهي فانية والولاية الحقيقية الباقية على الارواح وهي لله وحده · فمن يقف عَلَى مباني هذه الديانة ويلاحظ ماقلنا من ان الدين صاحب الشوكة العظمى عَلَى الافكار مع ملاحظة ان لكل خيال اثرا في الارادة يتبعه حركة في البدن عَلَى حسبه يعجب كل العجب من اطوار الاخذين بهذا الدين السلمي المنتسبين في عقائدهم اليه فانهم يتسابقون في المفاخرة والمباهاة بزينة

هذه الحياة ورفه العيش فيها ولا يقفون عند حد في استيفاء لذاتها ويسارعون الى افتتاح الممالك والتغلب عَلَى الاقطار الشاسعة و يخترعون كل يوم فنا جديدا من فنون الحرب ويبدعون في اختراع الالات الحربية القاتلة و يستعملها بعضهم في بعض و يصولون بها عَلَى غيرهم ويبالغون في ترتيب الجيوش وتدبير سوقها في ميادين القتال و يصرفون عقولهم في احكام نظامها حتى وصلوا غاية صار بها الفن العسكري من اوسع الفنون واصعبها وان اصول دينهم صارفة لعقولهم عن العناية بحفظ املاكهم فضلاً عن الالتفات الى طلب غيرها ·

الديانة الاسلامية وضع اساسها عَلَى طلب الغلب والشوكة والافتتاح والعزة ورفض كل قانون يخالف شريعتها ونبذ كل سلطة لايكون القائم بها صاحب الولاية عَلَى تنفيذ احكامها فالناظر في اصول هذه الديانة ومن يقرأ سورةً من كتابها المنزل يحكم حكماً لاريب فيه بان المعتقدين بها لابد ان يكونوا اول ملة حربية في العالم وان يسبقوا جميع الملل الى اختراع الالات القاتلة واتقان العلوم العسكرية والتبحر فيما يلزمها من الفنون كالطبيعة والكيمياء وجر الاثقال والهندسة وغيرها ومن تأمل في اية « واعدوا لهم مااستطعتم من قوة » ايقن ان من صبغ بهذا الدين فقد صبغ بحب الغلبة وطلب كل وسيلة الى مايسهل له سبيلها والسعي اليها بقدر الطاقة البشرية فضلاً عن الاعتصام بالمنعة والامتناع من تغلب غيره عليه ومن لاحظ ان الشرع

الاسلامي حرم المراهنة الا في السباقة والرماية انكشف مقدار رغبة الشارع في معرفة الفنون العسكرية والتمرن عليها ولكن مع كل ذلك تاخذه الدهشة من احوال المتمسكين بهذا الدين لهذه الاوقات اذ يراهم يتهاونون بالقوة ويتساهلون في طلب لوازمها وليست لهم عناية بالبراعة في فنون القتال ولا في اختراع الالات حتى فاقتهم الامم سواهم فيما كان اول واجب عليهم واضطروا لتقليدها فيما يحتاجون اليه من تلك الفنون والالات وسقط كثير منهم تحت سلطة مخالفيهم واستكانوا لها ورضخوا لاحكامها ومن وازن بين الديانتين حار فكره كيف اخترع مدفع الكروب والمترااليوز وغيرهما بايدي ابناء الديانة الاولى قبل الثانية وكيف وجدت بندقية مارتين في ديار الاولين قبل وجودها عند الآخرين وكيف احكمت الحصون ودرعت البواخر واخذت مغالق البحار بسواعد اهل السلامة والسلم دون اهل الغلبة والحرب ·

لم لايحار الحكيم وان كان نطاسيا · لم لايقف الخبير البصير دون استكناه الحقيقة · هل القرون الخالية والاحقاب الماضية لم تكن كافية لرسوخ الديانتين في نفوس المتمسكين بعراها · هل نبذت كل ملة من الملتين عقائد دينها ظهريا من اجيال بعيدة · هل اقتصر النصارى في دينهم على الاخذ بشريعة موسى واقتفا سيرة يوشع بن نون · هل تخللت بعض ايات الانجيل من حيث يدرى ولا يدرى بين الخطب والمواعظ التي تتلى على منابر المسلمين او التي شيء منها في اماني معلميهم

وناشري شريعتهم عند ما يتربعون في محافل دروسهم . هل تبدلت سنة الله في الملتين . هل تحول مجرى الطبيعة فيهما . هل استبدت الابدان فيهما على الارواح او وجد للارواح دبير سوى الفكر والخيال او انفلتت الافكار من سلطة الدين او تعاصت النفوس عن الانتقاش بنقشته وهو اول حاكم عليها واقوى مؤثر فيها . هل تتخلف العلل عن معلولاتها هل تنقطع النسب بين الاسباب ومسبباتها . ماذا عساه يرشد العقول الى كشف المساتير وحل المعميات

اينسب هذا الى اختلاف الاجناس وكثير من ابناء الملتين يرجعون الى اصول واحدة ويتقاربون في الانساب الدانية . اينسب الى اختلاف الاقطار وكثير من القبيلين يتشابهون في طبائع البلدان ويتجاورون في مواقع الامكنة . الم يصدر من المسلمين وهم في شبيبة دينهم اعمال بهرت الابصار وادهشت الالباب . الم يكن منهم مثل فارس والعرب والترك الذين دوخوا الممالك واستووا على كرسي السيادة فيها كان للمسلمين في الحروب الصليبية آلات نارية اشباه المدافع فزع لها المسيحيون وغابوا عن معرفة اسبابها . ذكر ملكام سرجم « انكليزي » في تاريخ فارس ان محمود القزنوي كان يحارب وثني الهند بالمدافع وكانت هي الاسباب في انهزامهم بين يديه سنة ٤٠٠ من الهجرة وما كان المسيحيون لذلك العهد يعرفون شيئاً منها

فاي عون من الدهر اخذ بايدي الملة المسيحية فقدمها الى مالم يكن

في قواعد دينها واي صدمة من صدماته دفعت في صدور المسلمين فاخرتهم عن تعاطي الوسائل لما هو اول مفروض في دينهم . مقام للحيرة وموضع للعجب . ويظن ان لابد لهذا التخالف من سبب نعم وتفصيله يطول ولكن نجمل على ما شرطنا : ان الدين المسيحي انما امتد ظله وعمت دعوته في الممالك الاوربية من ابناء الرومانيين وهم على عقائد واداب وملكات وعادات ورثوها عن اديانهم السابقه وعلومهم وشرائعهم الاولى وجاء الدين المسيحي اليهم مسالماً لعوائدهم ومذاهب عقولهم وداخلهم من طرق الاقناع ومسارقة الخواطر لا من مطارق البأس والقوة فكان كالطراز على مطارفهم ولم يسلبهم ماورثوه عن اسلافهم ومع هذا فان صحف الانجيل الداعية للسلامة والسلم لم تكن لسابق العهد مما يتناوله الكافة من الناس بل كانت مذخورة عند الرؤساء الروحانيين ثم ان الاحبار الرومانيين لما اقاموا انفسهم في منصب التشريع وسنوا محاربة الصليب ودعوا اليها دعوة الدين التحمت آثارها في النفوس بالعقائد الدينية وجرت منها مجرى الاصول ولحقها على الاثر تزعزع عقائد المسيحيين في اوربا وافترقوا شيعاً وذهبوا مذاهب تنازع الدين في سلطته وعاد وميض ما اودعه اجدادهم في جراثيم وجودهم ضراماً وتوسعوا في فنون كثيرة وانفسح لهم مجال الفكر فيها وكانت براعتهم في الفن العسكري واختراع آلات الحرب والدفاع مساوقة لبراعتهم في سائر الفنون

اما المسلمون فبعد ان نالوا في نشأة دينهم ما نالوا واخذوا من كل كمال حربي حظاً وضربوا في كل فخار عسكري بسهم بل تقدموا سائر الملل في فنون المقارعة وعلوم النزال والمكافحه ظهر فيهم اقوام بلباس الدين وابدعوا فيه وخلطوا باصوله ما ليس منها فانتشرت بينهم قواعد الجبر وضربت في الاذهان حتى اخترقتها وامتزجت بالنفوس حتى امسكت بعنانها عن الاعمال هذا الى ما ادخله الزنادقة فيما بين القرن الثالث والرابع وما احدثه السوفسطائية الذين انكروا مظاهر الوجود وعدوها خيالات تبدوا للنظر ولا تثبتها الحقائق وما وضعه كذبة النقل من الاحاديث ينسبونها الى صاحب الشرع صلى الله عليه وسلم ويثبتونها في الكتب وفيها السم القاتل لروح الغيرة وان مايلصق منها بالعقول يوجب ضعفا في الهمم وفتورا في العزائم وتحقق اهل الحق وقيامهم ببيان الصحيح والباطل من كل ذلك لم يرفع تأثيره عن العامة خصوصاً بعد حصول النقص في التعليم والتقصير في ارشاد الكافة الى اصول دينهم الحقة ومبانيه الثابتة التي دعا اليها النبي واصحابه فلم تكن دارسة الدين على طريقها القويم الا منحصرة في دوائر مخصوصة وبين فئة معينة . لعل هذا هو العلة في وقوفهم بل الموجب لتقهقرهم وهو الذي نعاني من عنائه اليوم مانسأل الله السلامة منه .

إلا ان هذه العوارض التي غشيت الدين وصرفت قلوب المسلمين عن رعايته وان كان حجابها كثيفاً لكن بينها وبين الاعتقادات

الصحيحة التي لم يحرموها بالمرة تدافع دائم وتغالب لاينقطع والمنازعة بين الحق والباطل كالمدافعة بين المرض وقوة المزاج وحيث ان الدين الحق هو اول صبغة صبغ الله بها نفوسهم ولا يزال وميض برقه يلوح في افئدتهم بين تلك الغيوم العارضة فلا بد يوماً ان يسطع ضياؤها ويقشع سحاب الاغيان وما دام القرآن يتلى بين المسلمين وهو كتابهم المنزل وامامهم الحق وهو القائم عليهم يامرهم بحماية حوزتهم والدفاع عن ولايتهم ومغالبة المعتدين وطلب المنعة من كل سبيل لايعين لها وجها ولا يخصص لها طريقا فاننا لانرتاب في عودتهم الى مثل نشأتهم ونهوضهم الى مقاضاة الزمان ماسلب منهم فيتقدمون على من سواهم في فنون الملاحمة والمنازلة والمصاولة حفظاً لحقوقهم وضنا بانفسهم عن الذل وملتهم عن الضياع والى الله تصير الامور

الدولة العثمانية

قالت جريدة الميموريال دبلوماتيك انه لم يؤخذ عن الباب العالي خبر الى الآن عن المنشور الذي عزم على ارساله للمصريين إلا انه محرر تام وفيه ان الدول ستدعي الى المداولة التي قطعها اطلاق المدافع على سكندرية « المؤتمر » ولن يعدل الباب عن نشره إلا اذا قبلت انكلترا ان تكون مخابرتها معه في تسوية المسائل السودانية والمصرية بطريقة جدية « لا هزلية » ولم نزدد يقيناً بما ذكرته هذه الجريدة في ان الدولة العثمانية لاتتساهل في حقوقها على مصر وانها تبذل مافي

وسعها للمدافعة عنها وكانت لنا ثقة تامة بعزائم العثمانيين وانهم لابد ان يقدموا لصون بلادهم المصرية من استبداد غيرهم فيها

ولهذا انجزم بانه لايروق للدولة العثمانية ماذكرته جريدة الدلي تلغراف من ان المستر كلادستون سيجهر عن قريب بحماية حكومته للاقطار المصرية وانه سيخابر الدول في تحديد امد الحماية ولا يكون اقل من خمس سنوات وفي امله ان الدول لاتمانعه فيما يريد الاتفاق معها عليه في هذا الشان بل تعتبره حقاً قانونياً اوجبه بذل الاموال الانكليزية واراقة الدماء البريطانية . وفصلت هذا الخبر بعض الجرائد الفرنساويه وبوبته واشارت الى ما اجابت به بعض الدول

فليس مما يخطر ببالنا ان الدولة العثمانية توافق عَلَى ما تطلب انكلترا لو فرضنا ان الدول سمحت للانكليز بحمايتهم لمصر مدة محدودة او غير محدودة فان الحوادث لا تؤمن وتقلبات الايام لا ثقة بها فيمكن في خمس سنوات بل في اقل منهـا ان تتبدل القواعد السياسية بل ينقلب وجه السياسة انقلاباً لا يعرف والسياسيون لهم في كل حادث علة لمحو المعاهدات وتأويل الوثاق .

انكلترا في سواحل البحر الاحمر

وقع ما انبات به الجرائد الانكليزية من بضعة ايام فان الجيوش البريطانية زحفت لملاقاة عثمان دجمه بعد ان قاست اليم العذاب من وهج الحر ولهيب الشمس واصيب منها عدد وافر بالوهن والضعف حتى عجزوا عن مداومة السير وصابر بقية العسكر في زحفه وانتظموا عَلَى اشكال مربعات تشاكل ما انتظموا عليه في الموقعة الماضية إلا انهم لم يتلاقوا مع خصمهم وافاد التقرير الانكليزي ان السبب في عدم الالتحام

وصلت العساكر الى قرية تمانيه ولم تجد عنها مدافعا فاحرقتها ورجعت الى سواكن ولا يخفى ان جميع اخبارهم قبل هذا الزحف كانت متفقة عَلَى ان عثمان يبعد عن تمانيه بتسعة اميال وان مسيرهم هذا كان لملاقاته حيث يعتصم فلم يكن هناك داع لحرق قرية تمانية ولا الاخبار بانه لم يوجد مدافع عنها إلا ما تعود عليه الانكليز في حروبهم اذا لم يصادفوا ظفراً يحرقون ويخربون وان لم يكن من يصيبونه باعالهم محارباً لهم حتي يقولوا ظفرنا واحرقناواتلفنا · وورد الى الجرائد الفرنساوية ان تقهقر عثمان انما كان ليحشرهم بين شعاب الجبال ثم يغير عليهم ويفتك بهم كما فعل رئيسه (محمد احمد) بعساكر الجنرال هكس ويظهر انهم لما احسوا بهذه المكيدة ووجدوا من انفسهم ضعفاً عن مقاومة العرب في جبالهم كروا راجعين الى سواكن ومحتجين بشدة الحر ستراً للعجز وتقديماً لبارد العذر والجرائد الانكليزية في قلق واضطراب شديد ولهج اغلبها بحث حكومتها على استدعاء العساكر من سواحل البحر الاحمر متعللة بانهاوان كانت من حامية الهند ولها جلد عَلَى احتمال الحرارة الا ان اثر الحر السوداني ظهر فيها بسرعة شديدة ويخشى عليهامن التلف الكلي واحرى ان يخاف عَلَى سواها ممن لم يفارقوا انكلترا الا لحرب السودان · ويغلب على الظن انهم شعروا بقوة محمد احمد وثبات عثمان والتهاب الحمية في قلوب المسلمين بتلك الاطراف فاستفزهم ذلك الى اخلاء وجوههم وخوفاً من ان يحل بجيوش السودان الشرقي ما حل بعساكر الجنرال هكس

وتستروا بالشكوى من شدة الحر واحتدام نار القيظ مع ان وهج الحرارة في جنوب الهند حيث كانت تحل هذه العساكر كما ذكرته جرائدهم اشد منه في سواحل البحر الاحمر

وما قاله الجنرال كراهام والاميرال هشيت ان الحركات العسكرية قد انتهت عَلَى شطوط البحر الاحمر يثبت اعتراف هذين القائدين بعجزهما عن فتح الطريق ما بين البحر الاحمر وبربر ومساعدة كوردن من هذه الطريق وبناء عَلَى ما ابدياه من اليأس صدرت الاوامر الى الجنرال كراهام باخلاء المواقع الحربية واجلاء العساكر عنها والخروج من سواكن بما يمكنه من السرعة واعقب الامر اجتماع العساكر باسرها في تلك المدينة ويقال ان فرقة منها تسافر في التاسع والعشرين من مارس الى مصر وانكلترا . وهذا الامر لا ريب يعده اشياع محمد احمد والمذعنون لدعوته فتحاً الهياً وتاييداً ربانياً فيقوى اعتقاد المخلصين له ويقطع شكوك المترددين في قبول دعواه ولربما يذهب الوهم بالسذج منهم الى ان الله ايدهم بالملائكة المسومين فكشفوا عنهم عدوهم وبعد هذا تجتمع كلمة القبائل وتثبت اقدامهم في مواقف القتال ويزداد حرصهم عَلَى تعميم دعوى محمد احمد ومغالبة من لم يذعن لها ويكون هذا الظفر الغريب اقوى برهان لهم عَلَى صدق دعواهم

هذا ماادت اليه سياسة الدولة الانكليزية التي وطئت باقدامها ارض مصر لاخماد الفتن لم تجلب مداخلتها إلا تعالي اللهب وقوة

الضرام وبعد ماسقط في يديها وخابت في سياستها تجافت عن تسليم الامر لاربابه القادرين على تلافيه من المسلمين حتى يحصل الامن للاجانب والوطنيين وتحقن الدماء وتحفظ الاموال وعمدت الى الاستنجاد بحكومة الحبش لحرب السودان ولم ياخذها خجل في ذلك وهي تدعي انها حاملة لواء التمدن والقائمة بنصرة الانسانية وتتلوا ايات الانجيل اناء الليل واطراف النهار ثم تستدعي حكومة خشنة غير مهذبة كحكومة الحبش لمقاتلة قوم اخرين وان كانوا ليسوا باقل منهم خشونة لتشتبك حرب بربرية تحرق فيها المدن والقرى وتسفك فيها الدماء الغزيرة ويفتك فيها بالاولاد والنساء والشيوخ ومن لاجريمة لهم حتى يفني بعضهم بعضا ولم تبال في التماس هذه المساعدة ان تصرح للحكومة الحبشية ان الغرض منها كبح المسلمين في السودان واضعاف قوتهم لتثير بذلك حرباً دينية تذكر العالم بالحروب الصليبية . فقد جاءت الاخبار الى الجرائد الفرنساوية . بان دولة انكلترا تلتمس من يوحنا ملك الحبشة ان يمدها بجيوش للدفاع عن سواحل البحر الاحمر لعجزها عن حمايتها بنفسها واطفاء ثورة المسلمين واخضاعهم وبعثت اليه قائد اسطولها ليتفق معه على شروط هذه المساعدة وما يغنمه بعد القيام بها وفي جريدة الميمور يال دبلوماتيك ان من جملة ماتطلبه انكلترا من الحبش فضلاً عن الانجاد الحربي ان يتخلى لها عن جزيرتين في البحر الاحمر لتحل فيهـا بعضا من عساكرها وله من العوض مايكافي

الامرين جميعا ٠

يريد محبنا الصادق ان يقدم للحبش جزاء من اراضينا مكافاة له على مايريد منه ولم يغفل عن مراعاة المرابحة التجارية حسب عادته ترغب الى الحبش ان يتنازل له عن املاك في البحر الاحمر فليعتبر المعتبرون ٠

خرطوم

نوهنا مراراً بما للمسلمين عموماً والمصريين خصوصاً من الانقباض عن حرب اخوانهم واراقة دماء ملتهم بمجرد اوامر تصدر اليهم من مخالفهم في الجنس والاعتقاد لايعلمون لها عاقبة ولا يدرون من يجتني ثمرتها بل يوقنون انهم انما يقتلون اخوانهم ليورثوا ارضهم لقوم اخرين ربما كانوا اعدائهم او يكونون اعدائهم ولهذا لم ياخذنا عجب من خذلانهم لمكس في السودان الغربي ولا لباكر في السودان الشرقي ولا مما بلغنا في هذه الايام من خذلان كوردون في خرطوم ولم يختلج في صدرنا ولا في خطرات انفسنا ان انهزامهم في هذه المواقع منشاؤه الجبن والخور او الاختلال والنقص في الادب العسكرية ولكن نعلم انهم يفضلون الموت بيد اخوانهم على الظفر بهم لتكون اموالهم وديارهم غنيمة لصاحب امرهم من الاجانب ٠ اما الجرائد الانكليزية وقواد الانكليز فهم يبالغون في جبن العساكر المصرية

واختلالها ليتطرقوا بذلك الى مافي عزم حكومتهم من طرد الجيش المصري الوطني واقامة جيش انكليزي مقامه حتى يتمكنوا بجيشهم ان ينالوا ماتطمح اليه انظارهم في المستقبل .

ومن هنا لايستغرب عارف بحقيقة الامر ماذكره مراسل التمس في خرطوم من ان كدردون باشا عندما اشتد عليه الحصر من اشياع محمد احمد خرج بالفي جندي من الجنود المصرية وبعض العساكر الغير المنظمة (الباشبوزق) ليفرق المحاصرين ويبعدهم عن ابواب المدينة فلم تثبت الجنود لاول الملاقاة وانحاز منهم خمسة ضباط الى قبائل العرب وعمد اثنان من امرائهم (بشوات) الى قتل من كان عَلَى المدافع منهم ليطلقها عَلَى اخوانهم التابعين لمحمد احمد ويقال ان كوردون قبض عَلَى الاميرين ووضعهما تحت المحاكمة العسكرية وآخر الامر اضطر كوردون الى الدخول وراء الحصون بعد ان تبدد جيشه وقتل منه مئتان عَلَى ما رووا ولم يقتل من الثائرين الا اربعة وغنم العرب من ذخائر جيش كوردون مقداراً وافراً مع ان المهاجمين منهم كانوا فئة قليلة لاسلاح لهم الا الرماح والحراب وجيش كوردون كان الفي رجل شاكي السلاح من الطرز الاوربي الجديد

هذا يكون من المصريين لانهم تحت قيادة اجنبي يامرهم باوامر دولة اجنبية ولو كانوا في امرة امير مسلم مصري ولهم ثقة بعاقبة ظفرهم ان تكون لبلادهم وملتهم لرأينا منهم ما راى العالم وشهد به الكون لهم

من الشجاعة والاقدام ايام محمد علي وابراهيم باشا

وبالجملة فقد ارجع كوردون بعد تغلب الثائرين حاميته الى مامنه في خرطوم يوم السادس عشر من شهر مارس (الماضي) ويقول مراسل التمس انه يمكنه التمنع في الحصون بعض ايام الا انه لم يجرأ عَلَى الخروج مرة ثانية

الجرائد الانكليزية تحكي ما هال اهل بريطانيا من مصيبة كوردون وتنذر بخطر عظيم يحل به وفي جريدة الدلي تلغراف ان هلاك كوردون او وقوعه في اسر محمد احمد يذهب بالاعمال الحربية التي قامت بها العساكر الانكليزية في السودان ويجعلها هباء كأن لم تكن ويزيل اثر تلك المواقع الدموية فتكون نسياً منسياً وقالت جريدة الستاندرد ليس من الممكن لنا ان نتأخر دقيقة واحدة عن العمل إلا اذا اردنا ان نلقي بكوردون الى هاوية الهلاك وبالسودان الى الفوضى (نعم لا بد ان يخافوا عَلَى السودان من الفوضى كما خافوا على مصر منها) وفي التمس لابد لانكلترا ان تظهر عزيمتها في الاحوال الحاضرة وتأخذ في عملها بالشدة حتى يعلم ذلك منها عند الكافة من الانكليز ومن آمالها ان الامة الانكليزية تؤيد الحكومة فيما تعزم عليه وانه لاسبيل لانفاذ كوردون إلا تصميم الحكومة الانكليزية عَلَى ماتريد (ولم تفصح التمس عن تلك العزيمة ماهي ولا ماتصمم عليه الحكومة ماهو لعل كل ذلك هو هذا : لابد ان نفعل ولا بد ان نترك ولا بد ان

نكون ولا بد ان لانكون)

قالت جريدة التان الفرنساوية ان هذا الخطب الجديد احدث من القلق في انكلترا مالا مزيد عليه وعموم الناس فيها يعتقدون انه ان لم ترسل الحكومة جنوداً لانجاد كوردون فهو هالك لامحالة وجميعهم يعلمون مقدار التبعة التي تحملها الوزارة (الانكليزية) اذا مات اواسر كوردون فانها هي التي القت به في هذه التهلكة والجرائد عموماً على اختلاف مشاربها متفقة عَلَى القول بان موت كوردون باشا يكون وصمة في شرف انكلترا لاتمحوها الايام .

ان ناظر الجهادية الانكليزية يحاول سائليه من الحزب المضاد في مجلس النواب ويراوغهم في الجواب ويتعلل بان الحكومة لم تعد المجلس وعداً صريحاً بان تبين مقاصدها في السياسة المصرية ويزعم انه لايمكن ان يفيده بتفاصيل عن احوال خرطوم لانقطاع الاخبار لكنه يعترف بهزيمة الجنرال كوردون وبما هو فيه من الشدة والضيق إلا ان اللورد نور ثبورك لم يزل مصراً عَلَى طلبه من الحكومة بيان سياستها في المسائل المصرية والسودانية بالتفصيل وقال اللورد غرانفيل في مجلس اللوردات انه لا يرى من السهل في هذه الاوقات ان تفتح الطريق بين سواكن وبربر وخطا القائلين بسهولته وافاد المجلس بالفشل الذي حل بالجنرال كوردون

اماني انكلترا فى حركات محمد احمد

صرح اللورد غرانفيل في مجلس اللوردات بان المقاومة الشديدة التي لاقوها من قبائل العرب ورئيسهم عثمان في سواحل البحر الاحمر لم يكن القصد منها إلا الرغبة في تمكين سلطة محمد احمد في البلاد السودانية يريد من هذا انه لم يحملهم عَلَى الثبات والترامي عَلَى الموت عدوانهم للانكليز ولا طمعهم في توسيع الفتح وانما كان الحامل هو الدفاع عن شوكت محمد احمد في السودان خاصة . وهذا من اللورد اما غفلة او تغافل عن لواحق دعوى المهدوية بل لوزامها التي لا تنفك عنها فان القائم بهذه الدعوى لا يقف في سيره عند غاية ولا يقنع بملك وانما يريد بسط دعوته في اقطار العالم واحياء الاوامر الالهية التي جاء بها صاحب شريعته الذي يدعي النيابة عنه في تبليغها وصيانتها في نفوس الناس كافةً وسواء كان صادقاً في دعواه او كاذباً فلن يتم له امر ولن تتمكن له سلطة في بقعة من بقاع الارض سودانًا كان او مصرا او غيرها من البلد ان إلا بتقدمه الى ما ورائها حتى يعلي كلمة دينه ويرد الى الحق من انحرف عنه ويكون له التصرف التام في قلوب المسلمين وياخذ منها مكانًا عليا يشرف منه عَلَى مطامح دعواه في غيرهم من الامم وسواء يسر الله له النجاح في ذلك او بآء بضده . هذا لا كلام لنا فيه الان ولكنا نتكلم في الخصائص الطبيعية لهذه الدعوى العظيمة وبعد الوقوف عَلَى ماينبغي يسقط من النظر قول اللورد غرانفيل في مجلس اللوردات ان حكومته لم يرد لها خبر يحملها عَلَى الظن باستعداد محمد احمد لقبول امارة كوردفان والاكتفا بها ولا يعلم هل قبول محمد احمد لتلك الولاية يكون حجابًا بينه وبين التقدم الى سواها فقد علمت ان محمد احمد لم يقم بدعوى الملك ولا طلب حق له في الامارة كان يرثه عن ابائه وانما قام بدعوى لا نهاية لاطرافها الا عند حدود السطوة الاسلامية فليس يكافي قوة دعوة اسلامية الا عزم اسلامي وان يكافح هذا المدعي ويرده

الى قدره إلا رجال مسلمون يدافعون الدعوى بما يقوى عَلَى اضعافها او محوها فان لم يرد لحكومة اللورد خبر الى الان عما ذكره فليطمئن قلبه لعدم وروده في المستقبل ولا نظن خبراً ياتيه إلا بنقيض ما توهمه نسأل الله حسن العاقبة

بعد تحرير هذه الاحرف جاءت الاخبار مصدقة لما قلنا ففي تلغراف من مكاتب التيمس في خرطوم ان ثلاثة دراويش جاؤا مرسلين من قبل محمد احمد الى الجنرال كوردون وارجعوا اليه علامات الشرف التي كان بعث بها الى مرسلهم وبلغوه ان محمد احمد يرفض لقب امير كورد فان وينصح الجنرال ان يدخل في دين الاسلام فهو خير له

الحزم والعزم

ان ابناء الامم الغربية اذا عمدوا الى قصد لا يفترون في طلبه وعلو الهمم فيهم تجعل لديهم كل صعب سهلاً وكل بعيد قريباً يقتحمون المخاطر لاكتساب الشرف ويتجشمون المصاعب للوصول اليه وبلغوا من محبة المجد حداً لا يرونه غذاء لارواحهم فقط بل عدوه من مادة النماء لابدانهم فهم يفرقون خوفاً اذا عرض وهم لفواتهِ خشية من هلاكهم وذهاب حياتهم لهذا ترى الرجل منهم يجوب فيافي افريقيا ويتسنم جبال سيبريا ويخالط قبائل وشعوباً لا يعرف لهم لغة ولا يألف لهم عادةً ولا اخلاقاً ويتكبد مشاق الحر والبرد والجوع والعطش وينازل الموت مع من يخالطه من تلك القبائل البعيدة عنه في جميع اوصافهم وهو في كل وقت يقع بين انياب المنية منهم ثم يخلص بما يقتدر عليه من الوسائل . كل هذا يحتمله طلباً لشرف يكسبه لذاته او ابتغاء مجد يحصله لامته

ومن هولاء الرجال بل من احزمهم واجلهم صديقنا الهمام البطل الشهير المستر اوكلي احد نواب البرلمان الايرلندي جاء الينا من اشهر عَلَى عزيمة السفر

الى عبيد وسألنا ان نقدم له ما يسهل له الوصول مع الامن على حياته فاجبناه بتحرير رقائم الى من لهم اليد الطولى في مساعدته ووردت منه المكاتيب تبشرنا بنوال مبتغاه وفي هذه الايام جاءنا تلغرفات بوصوله ومنهم رجال من عظماء الفرنساويين الاحرار ذهبوا الى مثل مقصده وتوسلوا بمثل وسائله وهم اليوم يتوسطون الطريق ونرجو لهم سلامه الوصول

ورجاؤنا ان يكون في هولاء اسوة للشرقيين لا تقعدهم الاوهام الباطلة ولا تثبطهم الاحلام الكاذبة ولقد كان لهم في اسلافهم اسوة حسنة ولكن من الاسف نحتاج في تذكيرهم بما لهم من سابق المجد الى ذكر احوال الحاضرين من غيرهم ولله الامر من قبل ومن بعد

اسطورة

ذكروا في اساطير الاولين ان هيكلاً عظيماً كان خارج مدينة اصطخر وربما اوى اليه بعض سراة الليل اذا اشتدت بهم وحشة الظلام وما اوى اليه احد إلا غالته المنية فياتي طلاب اثره لقص خبره فيدخلون الهيكل في ضو النهار فيجدبه ميتاً ثم لا يهتدون لسبب موته لسلامة بدنه من كل ما يعهد سبباً للموت واشتهر امر الهيكل بين السابلة والقطان واخذ كل قاصد حذره من المبيت به حتى ضاقت الدنيا برجل فاختار الموت على الحياة وصعب عليه انتحار نفسه بيده فذهب الى الهيكل لعله يصادق منيته فاذا بالقرب منه رجال ينصحوه ويحذروه عاقبة الهلاك فلم يصغ اليهم وقال انما اتيت لتلك العاقبة وانفلت من نصحائه الى حيث يظن مهلكه فلما توسط الهيكل فاجاته اصوات مزعجه هائلة كأن جمعاً عظيماً يخاطبه هانحن قد اتينا لاتلافك هانحن قد اتينا لازهاق روحك هانحن وصلنا لنمزيق بدنك وسحق عظامك فصاح اليائس الا فاقدموا فقد سئمت الحيوة ولم يتم كلامه إلا

وقد حدثت قرقعة شديدة وانحل الطلسم وانشق الجدار وتناثرت منه الدراهم والدنانير وتفتحت ابواب الكنوز فاطمان الخائف ونام حتى اصبح ولما اضحى النهار وجاء الواقفون على خبره ليحملوا جنازته وجدوه فرحًا مستبشرًا يسألهم بعض الاوعية لحمل ما وجده من الذهب والفضة فاستخبروه قصته فبعد البيان علموا ان هلاك من هلك انما كان بالفزع من تلك المزعجات التي لا حقيقة لها

بريطانيا العظمى هيكل عظيم ياوي اليه المغرورون اذا اوحشت مظلمات السياسة فتدركهم المنية بمزعجات الاوهام وكم هلك بين جدرانه من لا مريرة لهم ولا ثبات لجاشهم واخشى ان يسوق اليأس اليه قوي المريرة ماقت الحياة فايكون إلا هنيهة يصعد فيها صوت اليأس فينقض الجدار و ينحل هذا الطلسم الاعظم

باريس

يوم الخميس في ١٤ جمادي الثانية سنة ١٣٠١ و١٠ افريل سنة ١٨٨٤

اخذت دولة بريطانيا في معاملة الشرقيين لهذه الايام طريقاً غير طريقها المعروف وهي تعلم ان نجاحها في اعمالها لديهم وبسطة ملكها فيهم واقتطاف ثمرات جنانهم انما كان بذاك الطريق المعهود . كاني اراها اليوم اكتنهت حقائقهم وسبرت خلائقهم ووصلت الى مكنونات صدورهم تجاوزت من ظواهرهم الى ضمائرهم وادات بخراطيمها الى قلوبهم فاحست سكونا فحسبته يبساً من شدة الجبن وسرت بدقتها في اوعية دمائهم فشعرت منها بفتور ظنته وقوفاً من شدة الضعف فكان من حسبانها انهم في نهاية العجز عن اعمالهم والقيام بشؤنهم او انست منهم الركون الى المراتب التي نقلت عن معانيها الاصلية وجردت عن مدلولاتها كناظر ووزير ووالٍ واميرٍ وهي اشبه بقباب عاليه إلا انها خاوية خالية فكان من زعمها ان امراء الشرق شغلتهم بهرجة هذه الصور الظاهرية حتى انستهم منافعهم الحقيقية وضرورات حياتهم الجنسية او الملية وقنعوا بما يشيده الوهم ويزينه الخيال هكذا ظنت كما تدل عليه اعمالها ولم يكن ذلك معهوداً منها

دخلت دولة الانكليز بلاد الهند بين ومدت عينها الى ما متعهم الله به من اراضيهم وطمحت الى اختطافها من ايدي المسلمين إلا انها ذهبت مذهب اللين واللطف وخفض جناح الذل والظهور في البسة الخضوع والخشية وصابرت على هذا السير ازماناً تقطع مسافات كثيرة في مدة طويلة

نعم كانت تتدرج في نقض اساس السلطنة التيمورية حجراً حجراً وتتملك اراضيها قطعة بعد قطعة لكن بدون تعرض للسلطنة الظاهرية ولا مس لنفوذها.

كانت تغري الولاة من النوابين والرجوات بالخروج عَلَى السلطـان التيموري ثم تنوب عنه بالعساكر الانكليزية والصينية للتغلب عَلَى الخارجين تحت اسم الملك ولا تمس رسومه الملوكية بل تلقب نفسها خادمة مأمورة . هكذا كان سيرها وهو المألوف من عوائدها .

اما في مصر فقد اظهرت مقاصدها لاول خطوة . باكورة اعمالها بعد دخول تلك البلاد غل ايدي الحكومة ومعارضتها في جميع اعمالها وصدها عن تعاطي شؤونها ور بما كان يخيل للناظر في حركات تلك الدولة ايام كانت تهيء اسباب الفتنة السابقة ومساعيها لتقوية ثورة السودان انها تسلك سبيلها في الهنـد ولكن يرى في منعها السلطان العثماني عن المداخلة في اصلاح بلاده المصرية والسودانية مع ماله فيها من الحقوق الشرعية والقانونية منعاً صريحاً وفي معارضة ولاة مصر وحكامها في كليات الامور وجزئياتها انها انحرفت عن مشربها واخذت مذهباً غير مذهبها .

كليفور لويد مستشار الداخلية في مصر وهو بحكم وظيفته من الطبقة الوسطى في مأموري الحكومة يتحكم عَلَى جميع الوزرا المصريين و يعارضهم في تصرفهم و يضع للبلاد شرائع وقوانين من تلقاء نفسـه و يخالف توفيق باشا في اوامره (إلا انه لايحسب عاصياً حتى الجأوا نوبار باشا رئيس النظار الى تقديم استعفائه بعد العجز عن مقاومته وضاق صدر توفيق باشا من صلابتـه في ارائه ولم تر الحكومة الانكليزية عزله وابداله بغيره وزعمت انهـا لو عزلتـه لاهانت تاج بريطانيـا العظمى ثم عالجب هذا الارتباك بتوجيه اوامرها الى كليفور لويد بان يقف عند حدود وظيفته ولا يتجاوز دائرة اعماله التي تسمح له بها طبيعة الوظيفة وخصائصها المحدودة وكان للظنون مجال لحسن الظن بدولة بريطانيا . غير ان جريدة التمس كشفت القناع ولم تبال بما يخدش خواطر الامراء الشرقيين ازدرا وامتهانا ومزقت الستار الذي اقامته حكومتها حجابا لمقصدها في الزام كليفور لويد بما الزمته فقالت ان وزارة نوبار باشا مولفة من دمي (صور وتماثيل) نظمت في

اسلاك اطرافها بيد الحكومة الانكليزية تحركها كيفما شاءت فعلى كليفور لو يد ان يدير الشئون المصرية بواسطة هذه الالاعيب تريد ان الحل والعقد في جميع الاحوال انما هو للوزارة الانكليزية لكن من وراء الحجاب ثم اعترضت هذه الجريدة على اقامة هذا الحجاب فقالت انه وان كان مفيداً إلا انه يضر بمصالح انكلترا ومصر معاً (وكان على الحكومة الانكليزية ان تجهر بولاية الاحكام في مصر كما صرحت بذلك مرارا ٠

اسرعت دولة انكلترا في سيرها الى ماتروم في الاقطار المصرية بل تهورت على خلاف عادتها وقد يكون مع المستعجل الزلل ٠ لانظن من الحكمة ما اتته من الاعمال في مصر وربما وجب عليها تدارك ما فرط منها ٠ ان محمد احمد شمخ امره وعظم خطره وهو من ورائها لا عائق له في سيره والقوى تجتمع اليه يوما بعد يوم وبعد ما تراه في غير هذا المحل من اخباره جاءت اواخر الاخبار بان المواصلات انقطعت بين القاهرة وبين بربر بالمرة وان جماهير الثائرين يزيد عددهم حول مدينة بربر وقتاً بعد وقت لقصد محاصرتها ويغلب على ظن الكافة انهم لابد ان يغيروا على المدينة بعد قليل و يلتحمون مع حاميتها بموقعة يكون فيها الفصل وان مدير بربر اعياه الالحاح على الحكومة لتنجده بعساكر انكليزية ليفرجوا عن المدينة و ينقذوا حاميتها وإلا هلكوا ٠

فما ركبته انكلترا من طريق التصرف في الادارات المصرية يخلف ظن المصريين فيها و يقطع املهم من وفاء مواعيدها و يوجد عليها نفوس الامراء منهم و يوغر صدورهم ويحقق لدى العلماء ان من قصدها التصرف في ولاية بلادهم كما يتصرف الملاك فيلتجئون بحكم الضرورة الى تلبية محمد احمد في دعوته او مساعدته على بعض اعماله او اتخاذ لهم بين يديه وفتح الابواب له ولا نظن ان انكلترا تخفى عليها ان علماء مصرهم اساتذة لعلماء المسلمين شرقاً وغرباً وان الجامع الازهر معهد العلوم الشرعية تسير اليه الركاب من جميع الاقطار و يقصده المسلمون من كل ناحية لدارسة الدين وروايته فلو حزبهم الامر واوعوزهم الصبر

وراو ولاية الدين في قبضة من ليس منهم فمجرد اشارة خفيفة وايماء الى موافقة محمد احمد سرًا كان او جهرًا كاف لايقاد نار الفتنة في جميع ارجاء البلاد الاسلامية وتسابق القلوب الى الاعتقاد بالمدعي والتفاني تحت رايته وليس في استطاعة دولة انكلترا ان تتصرف في اهواء القلوب ولا حركات الافكار وان اسلحتها الجديدة لاتبدد جحافل الخواطر وشتان بين هذه الفتنة وبين التي يسمونها فتنة عرابية نسأل الله العافية وحسن العاقبة ٠

الجرائد الانكليزية والعروة الوثقى

لو نادينا الغافلين ان انتبهوا والنائمين ان استيقظوا واللاهين بحظوظهم او امانيهم وواهامهم ان التفتوا ولو انذرنا اهل مصر بان الانكليز لو ثبتت اقدامهم في ديارهم لحاسبوا الناس عَلَى هواجس انفسهم وخطرات قلوبهم بل عَلَى استعداد عقولهم لما عساه يخطر ببالهم لقال الناس اننا نبالغ في الانذار ونغرق في التحذير ولو بينا لهم ان الانكليز يؤاخذون الابناء بذنوب الاباء والاحفاد بجرائم الاجداد ويطالبون الذراري بدفائن اسلافهم وان لم يكن للخلف علم بما ترك السلف لعدوا هذا البيان مناشطا في المقال وميلا عن الاعتدال ٠ ولو روينا لهم ان في قلوب الانكليز حقداً وضغينة على كل ايراني سوا كان من الافراد او الوجوه ويسيئون معاملتهم حيثما وجدوا من بلاد الهند ويمقتونهم مقتاً شديداً لان نادر شاه من ملوك العجم جاء الى الهند فاتحاً عَلَى عهد السلطنة